الحروبُ الصَّليبيَّة:
بدؤها مع مطلع الإسلام واستمرارها حتى الآن

عَرْضٌ
للهجمات الصليبية الغربية
على العالم الإسلامي عبْر العصور

تأليف
الدكتور أحمد شلبي
دكتوراه من جامعة كمبردج (إنجلترا)

أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة



ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلي باشا - بالقاهرة

الحروب الصليبية :
بدؤها مع مطلع الإسلام واستمرارها حتى الآن

عرض
للهجمات الصليبية الغربية عسكرية وفكرية
على العالم الإسلامى عبر العصور

تأليف

الدكتور أحمد شلبى

دكتوراه من جامعة كمبردج (انجلترا)
أستاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة



ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبـه نستعين

التاريخ ......

شعاع من المـاضى ينير الحاضر والمستقبل

هذا الكتاب قائم بذاته

وهو فى الوقت نفسه يمثل الأجزاء

٤٢ و ٤٣ و ٤٤

مـن

« المكتبة الإسلامية لكل الأعمار »

تحـــذير للمسلمين

رينتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة السابق يقول . في مقال نشرته مجلة الشئون الخارجية ١٩٨٥ (Foreing Affairs 1985) ما يلى :

Russia and America should join hands to fight the rising tide of Islamic Fundamentalism.

وترجمة هذه العبارة هى :

روسيا وامريكا يجب أن تعقدا تعاونا حاسما لضرب الصحوة الإسلامية .

كتب للمؤلف

أولا : موسوعة التاريخ الاسلامى

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة اجزاء لتاريخ العالم الاسلامى كله من مطلع الاسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى أسهم بها المسلمون فى ترقية العمران ، وتطوير الفكر البشرى :

١ ـ الجزء الأول . (الطبعة العاشرة)

ـ مقدمة الموسوعة : نطاق التاريخ الاسلامى ـ تفسير التاريخ ـ هل التاريخ علم؟.. فلسفة التاريخ ـ فائدة التاريخ ـ مراحل تدوين التاريخ ـ قضية الالتزام فى كتابة التاريخ الاسلامى ـ علم التاريخ بين المسيحية والاسلام ...

ـ تاريخ العرب قبل الاسلام : البدو والحضر ـ حياة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ـ السيرة النبوية المعطرة : جوانب من السيرة تدون لأول مرة

ـ الدعوة الاسلامية وفلسفتها ـ عصر الخلفاء الراشدين .

٢ ـ الجزء الثانى : الطبعة السادسة

الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية فى عهدها .

٣ ـ الجزء الثالث : الطبعة السادسة

الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الأول ، وبدور المسلمين فى خدمة الدراسات الاسلامية والحضارة العالمية .

٤ ـ الجزء الرابع : الطبعة الخامسة

ـ الأندلس الاسلامية ، وانتقال الحضارة الاسلامية الى أوربا عن طريقها .

ـ المغرب ـ الجزائر ـ تونس ـ ليبيا (مع مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر) .

ـ السنوسية : مبادئها وتاريخها .

٥ ـ الجزء الخامس الطبعة الخامسة

ـ مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر .

ـ الحروب الصليبية : دوافعها ـ أدوارها ـ نتائجها .

ـ الامبراطورية العثمانية (تركيا) منذ نشأتها حتى الآن .

٦ ـ الجزء السادس : الطبعة الثالثة

الاسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلهـــا الاسلام حتى الآن :

ـ دراسة عن وسائل انتشار الاسلام :

مراكز الشمال ـ هجرات عربية وغير عربية ـ التجار ـ الطرق الصوفية ـ مراكز داخلية

ـ الدول الاسلامية قبل الاستعمار الاوربى :

غانة ـ مالى ـ صنغى ـ دول الهوسا ـ برنو ـ باجـــرمى ـ واداى ـ الفونج ـ مقدشو ـ مملكة الزنج ٠

ـ الدول الاسلامية الحالية :

موريتانيا ـ السنغال ـ جامبيا ـ غينيـــا ـ مالى ـ النيجر ـ نيجيريا ـ تشاد ـ السودان ـ الصومال ٠

٧ ـ الجزء السابع : الطبعة الثانية

الاسلام والدول الاسلامية بالجزيرة العربية والعراق :

ـ دول الجزيرة العربية من مطلع الاسلام حتى الآن :

المملكة العربية السعودية ـ اليمن ـ جمهورية اليمن الجنوبية ـ عمان ـ دولة الامارات العربية ـ قطر ـ البحرين ـ الكويت ٠

ـ العراق من مطلع الاسلام حتى الآن ٠

٨ ـ الجزء الثامن :

الاسلام والدول الاسلامية غير العربية بآسيا من مطلع الاسلام حتى الآن :

ايران ـ افغانستان ـ الباكستان ـ بنجلاديش ـ ماليزيا ـ اندونيسيا
الاقليات الاسلامية فى الهند والصين وروسيا والفيليبين ٠٠

دراسات تفصيلية عن تأريخ مصر المعاصر

٩ ـ الجزء التاسع : الطبعة الثانية

ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم ٠ عصر محمد نجيب وعصر جمال عبد الناصر ٠

١٠ ـ الجزء العاشر :

ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم ، عصر أنور السادات ٠

(ترجمت أكثر أجزاء هذه الموسوعة لعدة لغات)

كتب للمؤلف

ثانيا : موسوعة النظم والحضارة الاسلامية

دراسة تحليلية فى عشرة اجزاء ، تبرز الاتجـــاهات الحضارية ؛ التى جاء بها الاسلام لهداية البشرية فى شـــئون الفكر ، والسـياسة والاقتصاد ، وفى مجال الحياة الاجتماعية والتربوية والعســـكرية ، والتشريعية والقضائية ، وتشمل :

١١ ـ الجزء الأول : تاريخ المناهج الاسلامية (الطبعة الثانية)
مناهج التعليم فى صدر الاسلام ـ انحر افاتها فى عصور الظلام ـ وجوب تصحيحها

١٢ ـ الجزء الثانى : الفكر الاسلامى : منابعه وآثاره (الطبعة السادسة)

١٣ ـ الجزء الثالث : السـياسة (الطبعة الرابعة)

فى التفكير الاسلامى

ـ مع المقارنة بالنظم السياسية المعاصرة

١٤ ـ الجزء الرابع : الاقتصـاد (الطبعة الرابعة)

فى التفكير الاسلامى

مع المقارنة بالنظم الاقتصادية المعاصرة .

ومع دراسة شاملة عن النقاط التالية :

١ ـ الاسلام والقضايا الاقتصادية الحديثة مثل شهادات الاستثمار والايداع بالبنوك . . . .
٢ ـ النظم الاقتصادية فى العالم عبر العصور وأثر الفكر الاسلامى فيهـا .
٣ ـ خطر الشيوعية على الأديان والانسان والدول .

١٥ ـ الجزء الخامس : التربية الاسلامية (الطبعة السابعة)
نظمها ـ تاريخها ـ فلسفتها

دراسة عميقة وشاملة لفلسفة التربية عند المسلمين ، ولمناهج التعليم وامكنته ، ولحالة المدرسين المالية والاجتماعية ، والاجازات العلمية ، والعقوبات ، والجوائز ، والمكافآت ، وملابس المدرسين ، ونقابة المعلمين ، وتكافؤ الفرص بين التلاميذ ، وتوجيههم حسب مواهبهم ..

١٦ ـ الجزء السادس : المجتمع الاسلامى (الطبعة السادسة)
أسس تكوينه .. أسباب ضعفه .. وسائل نهضته

١٧ ـ الجزء السابع : الحياة الاجتماعية (الطبعة الثالثة)
فى التفكير الاسلامى

ـ فى نطاق الأسرة : كالختان وتحديد النسل وعمل المرأة ...
ـ وفى نطاق المجتمع : كالافراح والمآتم والموسيقى والغناء ...

١٨ ـ الجزء الثامن : تاريخ التشريع الاسلامى (الطبعة الثانية)
وتاريخ النظم القضائية فى الاسلام
مع بحوث واسعة عن القرآن الكريم : المصدر الأول للتشريع
ومع دراسة شاملة لمصادر التشريع الاخرى

١٩ ـ الجزء التاسع : الجهاد والنظم العسكرية (الطبعة الثالثة)
فى التفكير الاسلامى

بحث علمى يبرز موقف الاسلام من السلم والحرب ، كما يبرز اتجاهات الاسلام فى مشكلات الحرب كالاستعداد للجهاد ووسائله ، وأخلاق المجاهد ، والخديعة فى الحروب ، والثبات والفرار ، والرباط ، والتجسس والخيانة ، والهدنة والاسرى ..

٢٠ ـ الجزء العاشر : رحلة حياة (الطبعة الثانية)
تجربة تعرض مجموعة من قضايا الحضارة الاسلامية

كتب للمؤلف

ثالثا ـ مقارنة الاديان

سلسلة من الكتب فى مقارنة الاديان ، تعتمد على ادق المراجع بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق والشمل .

٢١ ـ الجزء الاول : اليهودية : (الطبعة السادسة)

ـ دراسة لشتى المسائل اليهودية : اليهود فى التاريخ من عهد ابراهيم حتى الآن : الصهيونية ، أنبياء بنى اسرائيل . عقيدة بنى اسرائيل ، يهوه اله بنى اسرائيل : التعدد والتوحيد فى الفكر اليهودى ، التابوت والهيكل ، الكهنة والقرابين .....

ـ مصادر الفكر اليهودى : العهد القديم ، التلمود . بروتوكولات حكماء صهيون .

ـ اليهود فى الظلام . الماسونية ، والروتارى . الاغتيال ، التجسس ، البابية والبهائية .

ـ من صور التشريع فى اليهودية .

٢٢ ـ الجزء الثانى : المسيحية : (الطبعة السادسة)

ـ المسيح والمسيحية فى نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة .

ـ بوليس واضح المسيحية الحالية ، التثليث ، صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر .

ـ شعائر المسيحية ، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية ، المجامع ، طبيعة المسيح والآراء فيها ، الطوائف المسيحية ، الرهبنة والادبرة ، خرافة ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون . حركة الاصلاح الدينى ونتائجها ونقدها .

ـ الجزء الثالث : الاسلام : (الطبعة السادسة)

ـ الله فى التفكير الاسلامى ، النبوة فى التفكير الاسلامى ، غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ، الدين المعاملة ، المرأة فى الاسلام ، الرق وموقف الاسلام منه ، السياسة والاقتصاد فى الاسلام .

٢٤ ـ الجزء الرابع : أديان الهند الكبرى

« الهندوسية ـ الجينية ـ البوذية » (الطبعة السادسة)

ـ تقديم عن : جغرافية الهند ، سكان الهند ، اللغات فى الهند ، الاديان فى الهند .

ـ دراسة الكتب المقدسة الهندية : الويدا ؛ مها بهارتا : يوجاواسستها ، كيتا

ـ أهم العقائد الهندية : الكارما والتناسخ ، الانطلاق والنرفانا ، وحدة الوجود

ـ تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعيها .

كتب للمؤلف

رابعاً : كتب فى الثقافة العامة وكتب بلغات اجنبية

٢٥ ـ كيف تكتب بحثاً أو رسالة — الطبعة الرابعة عشرة

دراسة منهجية لكتابة البحوث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراه

باللغة الانجليزية :

مكتبة النهضة المصرية:

٢٦ — ISLAM : Belief - Legislation - Morals

٢٧ — History of Muslim Education

وباللغة الاندونيسية والماليزية :

Pustaka National (Singapore):

٢٨— Negara dan pemerintahan dalam Islam

٢٩— Masjarkat Islam

٣٠— Hukum Islam

٣٧— Sedjarah dan Kebudajaan Islam 1

٣٢— Sedjarah den Kebudajaan Islam 11

٣٣— Sedjarah den Kebudajaan Islam 111

٣٤— Perbandingan Agama (Jahudi)

٣٥— Perdandingan Agama (Masihi)

٣٦— Perbandingan Agama (Islam)

٣٧— Perbandingan Agama (Agama2 yang Terbeser di India :Hindu-Jaina-Buddha)

٣٨— Sadjarah pendidikan Isiam

٣٩— Politik dam Ekonomi Dalan Islam

٤٠— Kehidupan Social Dalam Pemikiran Islam

٤١— Perkembangan Keagamaan dalam Islam dan Masehi

٤٢— Perang Salib

٤٣— Kurikulum Islam Dalam Perkembangan Sedjarah

٤٤— Pengajian Al Quraan

٤٥— Sedjarad Kehakiman Dalam Islam

كتب للمؤلف

خامسا : المكتبة الاسلامية لكل الأعمار

١٠٠ جزء من سير عظماء الاسلام ومن التاريخ والحضارة وقصص القرآن للأولاد والشباب والسيدات والرجال

ظهر منها الأجزاء التالية :

المجموعة الأولى : السيرة النبوية العطرة :

ج ١ محمد قبل البعثة

ج ٢ من غار حراء .. الى غار ثور (قصة الاسلام فى مكة)

ج ٣ الاسراء والمعراج : دراسة تصحيح للقضاء على الشطحات

ج ٤ الهجرة للمدينة ووسائل الاستقرار بها

ج ٥ الرسول الداعية ومربى الدعاة

ج ٦ الرسول فى بيته : أزواجه — أولاده وأحفاده — خدمه

ج ٧ الرسول فى بيته : مشكلات الحياة فى بيت الرسول وكيف عالجها

ج ٨ الرسول بين أصحابه — الرسول يربى الفرد المسلم ويربى المجتمع الاسلامى

ج ٩ الرسول يربى القضاة ، ويربى القوة العسكرية ويربى الولاة والحكام

ج ١٠ الرسول والشباب — الرسول والعمل

ج ١١ توجيهات طبية يقدمها الرسول — مكرمات للرسول — الرسول والمنافقون

ج ١٢ الرسول والنصارى — الرسول واليهود

ج ١٣ الاسلام والقتال ، وهل انتشر الاسلام بالقوة او بالدعوة — غزوة بدر ودراسات جديدة حولها — اهم احداث غزوة بدر

ج ١٤ غزوة احد والهزيمة التى اخافت المنتصر — غزوة الأحزاب وكلمة عن سلمان الفارسى

ج ١٥ صلح الحديبية — كتب الرسول للملوك والرؤساء

ج ١٦ فتح مكة — غزوة حنين والطائف — الصراع ضد الروم — الفترة الأخيرة فى حياة الرسول

المجموعة الثانية : العشرة المبشرون بالجنة :

(٧ أجزاء)

ج ١٧ (١) أبو بكر الصديق : حياته وعصره والمشكلات التى واجهها .

ج ١٨ (٢) عمر بن الخطاب والتوسع فى عهده — عمر بانى الدولة الاسلامية

ج ١٩ (٣) عثمان بن عفان : حياته واخلاقه والفتنة فى عهده

ج ٢٠ (٤) على بن أبى طالب : شخصيته وحياته والمشكلات التى واجهها

ج ٢١ (٥) طلحة بن عبيد الله
(٦) الزبير بن العوام

ج ٢٢ (٧) سعد بن أبى وقاس
(٨) أبو عبيدة بن الجراح

ج ٢٣ (٩) عبد الرحمن بن عوف
(١٠) سعيد بن زيد بن عمرو

المجموعة الثالثة : دراسات قرآنية :

(٥ أجزاء)

ج ٢٤ نظرة عامة للقرآن الكريم — طريقة الوحى — نزول القرآن وتدوينه — اسماء السور وترتيبها — قراءات القرآن — فضائل القرآن — القرآن والعلم — فضائل قراءة القرآن وحكم التطريب فى أدائه والتكسب به .

ج ٢٥ خصائص القرآن والأصول التى جاء بها لخير الناس فى الدنيا والآخرة — اعجاز القرآن ومظاهر الاعجاز — معجزات الرسل والمقارنة بينهما .

ج ٣٧ عبد الملك بن مروان : أحد فقهاء المدينة الأربعة.
البطولة — السياسة — الاصلاحات الداخلية
— التوسع .

ج ٣٨ نموذجان فريدان متعاصران :
الوليد بن عبد الملك — عمر بن عبد العزيز .

ج ٣٩ التوسع العظيم فى العهد الأموى وأهم ميادينه.

ج ٤٠ الشيعة ومدعو التشيع .
قصة استشهاد الامام الحسين .

المجموعة السادسة : صراع وشهداء وانتصارات (٦ أجزاء) كالآتى:

ج ٤١ جزء عن « من شهداء الاسلام » : حمزة بن
عبد المطلب — جعفر بن أبى طالب — عمار
ابن ياسر — عمر المختار ومحاكمته .

ج ٤٢و٤٣و٤٤ ثلاثة أجزاء فى مجلد واحد عن :
الهجمات الصليبية : على العالم الاسلامى من
مطلع الاسلام حتى الآن .

ج ٤٥ و ٤٦ جزءان فى مجلد واحد عن :
شهر رمضان وانتصارات المسلمين فيه .
انتصارات المسلمين فى شهور رمضان على :
قريش — الروم — الفرس — القوط —
الصليبيين — المغول — الصهاينة .

المجموعة السابعة : الاسلام والمرأة (٤ اجزاء) :

ج ٤٧ حالة المرأة قبل الاسلام فى الحضارات المختلفة.

ج ٤٨ ماذا قدم الاسلام للمرأة .

ج ٤٩ نماذج من السيدات المسلمات فى مجال السياسة
والعلوم .

ج ٥٠ هـ زيجات شهيرة فى التاريخ الاسلامى (بوران —
قطر الندى) .

(الأجزاء التالية ستظهر تباعا ان شاء الله)

(لم تدخل أعداد المكتبة الاسلامية ضمن العدد الخاص بكتب للمؤلف)

- برنامج شامل ميسر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغير العرب
- أول سلسلة من نوعها فى المكتبة العربية تملأ هذا الفراغ .
دراسات شاملة سهلة لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف .
- تضم هذه السلسلة الكتابين التاليين :

٤٦ - **تعليم اللغة العربية لغير العرب : (الطبعة الثانية)**

يبدأ هذا الكتاب من المرحلة الاولى : مرحلة الهجاء ، ويتطور للقراءة ، فالتعبير ، فالاملاء ، فالخط والنصوص ، ثم يقفز بالطالب الى مرحلة متقدمة فى القراءة والحادثة والكتابة ، مستعملا فى هذه المرحلة موضوعات جذابة من الفكر الاسلامى والعربى اختيرت من أمهات الكتب العربية ثم صيغت فى اسلوب مناسب ، مع امثلة وتمرينات مفيدة .

٤٧ - **قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها : (الطبعة الثانية)**

عرض لجميع أبواب النحو العربى بطريقة تربوية سهلة
ودراسة واضحة لاهم ابواب الصرف

هذا الكتاب ضرورى للمثقف العربى وغير العربى

كتب نفدت ولن يعاد طبعها

٤٨ - فى قصور الخلفاء العباسيين :

اكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٣ من هذه القائمة

٤٩ - مصر فى حربين (١٩٦٧ و ١٩٧٣) دراسة مقارنة :

واكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٩ من هذه القائمة

٥٠ - الحكومة والدولة فى الاسلام :

واكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٣ من هذه القائمة

٥١ - الاشتراكية : دراسة علمية نقدية يدعمها اليقين الروحى :

واكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٤ من هذه القائمة

محتويات الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة

تقـــديم

جاءت الأديان تدعو للسلام والتعاون والمحبة ، ولكن الناس للأسف اتخذوها وسيلة للعدوان والدماء والحقـد ، وقد حدث هذا بين اليهود والمسيحيين ، وحدث بين اليهـود والمسلمين ، وحدث بين المسيحيين والمسلمين ، بل حدث بين الفرق المختلفة التابعة لدين واحد ، كالذى نقرؤه بالكثير من الرعب عن الدماء التى أراقها الكاثوليك عندما دعوا البروتستانت للتفاهم ، ثم غدروا بهم وذبحوهم فى باريس فى ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ وكانوا عدةَ آلاف •

ولاتزال أيرلندا تشهد صراعاً دامياً حتى الآن بينَ الطوائفِ المسيحية بعضها والبعض على الرغم من مرور عدة سنوات على بدء هـذا الصراع •

أما المسلمون فقد واجهوا عدوان الغرب الصليبى عبر عدة قرونٍ ، وقد تحدثتُ فى كتبى المختلفةِ عن بعض صور من هذا العدوان ، ولكنْ خطر ببالى خاطرٌ مهمٌ هو جَمْعُ ما كتبته من صور هذا العدوان ، وكتابة ما لم أكتبه من قبل من هذه الصورِ ، وأنْ أضعَ ذلك فى دراسةٍ متصلةٍ لإبراز الخطر الذى هدد المسلمين منذ زمن طويل ، ولا يزال يهددهم حتى اليوم •

وسرعان ما وضعتُ هذا الخاطر موضع التنفيذ فى هذا الكتاب الصغير ، فدوّنتُ الحروب الصليبية كما أراها ، لا كما تعود المؤرخون أن يدونوها ، فتتبعت مواقف الصليب وهو يهاجم الإسلام والمسلمين على مر العصور ، وفى أمكنة مختلفة ، ولم أُخْدَعْ بالاتجاه الذى حصر الحروبَ الصليبية فى المدة من سنة ١٠٩٦ الى سنة ١٢٩٢ م ، ولعلى بذلك أكون قد صححت خطأ طال السكوت عليه .

وقد أكد « اللنبى » هذا المعنى عندما قال عقب دخول الحلفاء فلسطين فى الحرب العالمية الأولى إذ قال : الآن تنتهى الحروب الصليبية .

وإنى أعتقد أن هذا الكتاب ناقوس ينذر بالخطر المحدق بالمسلمين ، ليتعاونوا قبل أن يبتلعهم الطوفان ، ولا يظنن أحد أن الخطر بعيد عنه ، فكلما حقق الصليبيون نصرا فى أى مكان ، كلما سهل عليهم التقدم الى نصر آخر فى مكان آخر ، ولنتذكر قول السابق :

إِنما أُكِلْتُ يومَ أُكِلَ الثورُ الأبيض

وأضع أمام القارىء قائمة بالزحف الصليبى على مناطق إسلامية ، لنرى أن هذا الزحف تمتد نيرانه الى مختلف الجهات ، وأنه لا يوجد مكان يعتبر بمنأى عن هذا الزحف

المسعور ، وألا نجاة من الزحف الصليبى إلا بالتعاون والحذر والاستعداد ، وفيما يلى هذه القائمة :

- الأندلس
- صـقلية
- باقى جزر البحر المتوســط
- الأقطار الاسلاميــة التى التهمها الروس فى ظل المسيحية أو اللادينية :

أوزبكستان — تركمانستان — جورجيا — اذربيجان، وبالتالى القضاء على العواصم الإسلامية التى كان لها فى التاريخ ذكر عاطر مثل بخارى وسمرقند .

- فلســطين .
- الجـــولان .
- الصراع الآن يدور فى أفغانستان وجنوبى لبنان .
- وكانت سيناء على وشك أن تضيع لولا عبقرية من خطّط ، وجهـود الأبطال الذين عبروا المخاطر لاستعادتها .

وهكذا نرى الزحف الصليبى يضرب فى الشرق والغرب والبر والبحر .

ولازال الحاضر صورة من المـــاضى ، وأكبر دليل لذلك أن العدوين اللدودين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يتفقان فى هدف مشترك هـــو ضرب المسلمين ، فقد نشرت مجلة ((الشئون الخارجية)) سنة ١٩٨٥ (Foreing Affairs 1985) مقالا خطيرا كتبه ريتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة الســـابق جاء فيه :

Russia and America should join hands to fight the rising tide of Islamic Fundamentalism.

(وترجمة هذه العبارة : روسيا وأمريكا يجب أن تعقدا تعاوناً حاسماً لضرب الصحوة الاسلامية) .

والله أسأل أن يكون هـــذا الكتاب وسيلة من وسائل يقظة المسلمين حتى يتعاونوا على تدبر أمرهم ، وفى دفـــع الشر عنهم .

وبالله التوفيق　　　　دكتور أحمد شـــلبى

كتبت بعض فصول هذا الكتاب فى كوالالمبور (ماليزيا) مارس ١٩٨٦

وتمت مراجعته فى «ابو ظبى » بدولة الامارات العربية المتحدة : ابريل ١٩٨٦

مقدمـــة

الحروب الصليبية طويلة المـدى :

فى تقديرى أن كثيرين من الناس يخطئون إذ يتصورون أن الحروب الصليبية هى فقط تلك التى أعلنها البابا « أوربان الثانى » فى كليرمونت بفرنسا فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٠٩٥ ، والتى انتهت بعد ذلك بحوالى قرنين فى عهد السلطان المصرى « الأشرف خليل » سنة ١٢٩٢ م .

ومنشأ هذا الخطأ الذى يقع فيه الكثيرون أنهم ارتبطوا بالحروب التى دارت بين ملوك أوربا من جانب وسوريا ومصر من جانب آخر ، والذى أراه أن الحروب الصليبية — أو الحركات الصليبية — قد بدأت قبل البابا « أوربان الثانى » بعدة قرون ، وأنها امتدت بعد الأشرف خليل بعدة قرون كذلك ، وأنها لاتزال دائرة بشكل أو بآخر ، تتضح معالمها أحيانا حينما كان الغرب كله يستعمر دول العالم الإسلامى كلها ، يسرق هذه الدول ، ويُنـْـزِل بها الذلّ والهوان ، وتختفى معالمها المسعورة أحيانا حين يتظاهر الغرب بإقامة صداقات بينه وبين بعض الدول الإسلامية أو كلها ليشغلها عن عمل صليبى محموم هو إقامة دولة الصهاينة بفلسطين لتكون على مر الزمن شوكة فى ظهر العرب جميعاً والمسلمين جميعاً .

الحروب الصليبية ضد المسلمين جميعا :

ويرتبط بهذا الخطأ خطأ آخر خطير ، فقد وقع كثير من الباحثين والمثقفين فى الفخ ، حين أوهمهم الغرب أن الحروب الصليبية كانت ضد العرب ، وهدفها استرداد القدس ، والحق أن الهدف كان أعمق من هذا وأخطر ، فالحركات الصليبية كانت ضد المسلمين جميعاً ، وليست ضد العرب وحدهم ، وهدفها الإيقاع بالمسلمين وإنزال الضرر بهم ، وقد اتضح ذلك من محاولة الصليبيين الاستيلاء على الحجاز والأماكن المقدسة لدى جميع المسلمين ، ومن محاولة « رجنلد » نقل جثمان الرسول صلوات الله عليه إلى الكرك ، كما اتضح من الضربات المتعددة التى وجهها المسيحيون لاستعمار الدول الإسلامية كلها عرباً وغير عرب ، أو لخلق إسرائيل فى هذا المكان بالذات لتؤدى هذه الدولة دورها فى خدمة الاتجاهات الصليبية ، وتضرب من موقعها العراق وتونس وتهدد الباكستان ، واتضح كذلك من الزحف الروسى المدمر على أفغانستان .

وفى ضوء هذا التقدير الواضح العميق نرى أن أخطبوط الحروب الصليبية أو الحركات الصليبية اتخذ فى مسيرته الطويلة أسماء عديدة ومواقف كثيرة يحاول هذا البحث أن يلم بها ويشرحها بإيجاز ، وهى :

قائمة بالحروب الصليبية :

١ ـ الصليب فى الصراع المبكر
بين المسلمين والبيزنطيين (غزوة مؤتة)

٢ ـ الصليب فى موقعة ملانكرد (١٠٧١ م)
بين السلاجقة والامبراطور البيزنطى رومانس الرابع

٣ ـ الحروب الصليبية الشهيرة
١٠٩٧ ـ ١٢٩٢ م

٤ ـ الحركة الصليبية
تتعاون مع المغول ضـــد المسلمين

٥ ـ الحركة الصليبية
تتعاون مع اليهود ضـــد المسلمين

٦ ـ الحركة الصليبية
تتحالف مع الاتحاد الشيوعى ضد المسلمين

٧ ـ الحركة الصليبية
انبثق عنها الاستشراق ومفاسده

٨ ـ الحركة الصليبية :
تتخذ التبشير وسيلة للزحف على المسلمين

٩ ـ الحركة الصليبية :
ضد مسلمى اسبانيا

١٠ ــ الحركة الصليبية بالشمال الافريقى

١١ ــ الحركة الصليبية :

ضد الامبراطورية العثمانية

١٢ ــ الحركة الصليبية :

وراء حملة نابليون على مصر

١٣ ــ الحركة الصليبية :

تحطم خطوات الاصلاح فى العالم الإسلامى

١٤ ــ الحركة الصليبية :

خلف استعمار أوربا للدول الإسلامية

١٥ ــ الحركة الصليبية :

خلف زرع إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى

١٦ ــ الحركة الصليبية :

تتعاون مع الصهاينة لخلق أندية تنفث السم بالعالم الإسلامى كالماسونية والروتارى والليونز

١٧ ــ الحركة الصليبية :

خلف الحرب بين إيران والعراق

١٨ ــ الحركة الصليبية :

خلف الحروب المدمرة فى لبنان ٠

١٩ ـ **الحركة الصليبية :**

تجذب الصينيين فى ماليزيا لتحــارب بهم السكان المسلمين أهل البلاد

٢٠ ـ **الحركة الصليبية :**

تزرع التحلل الأخلاقى فى البلاد الإسلامية

٢١ ـ **الحركة الصليبية :**

تمد أخطارها الى جيل المستقبل ٠

٢٢ ـ **الحركة الصليبية الحبشية مؤيدة بالغرب :**

تصارع المسلمين فى القرن الإفريقى وأرتيريا من مطلع الإسلام حتى الآن

وينبغى لذلك — فى تقديرى — أن تتعرض دراســة الحروب الصليبية لكل هــذا النطاق الواسع ، ففى كل هذه الحركات كان الصليب شعاراً للمعتدين ، وعندما وجد الغرب أن من الحكمة والخديعة إخفاء الصليب فى بعض الحركات كالحركة الصليبية التى اتجهت لزرع الصهيونيــة فى قلب العالم العربى والإسلامى ، عندما رأى الغرب ذلك فضحته مذكرات وايزمان حيث أعلن [١] « أن الكنيسة قدمت لنا أكبر المساعدات ونحن نقيم دولة إسرائيل » وسنرى ذلك وسواه واضحا عندما نتحدث عن دور الصليب فى إقامة إسرائيل ٠

---

(١) مذكرات وايزمان ص ١٨

الصليبيون خالفوا دين السـيد المسـيح :

على أن هناك نقطة ينبغى إيضاحها ونحن فى مطلع هذا الحديث ، هى أن الذين حملوا الصليب واندفعوا به لحرب المسلمين ، لم يكونوا فى ذلك تابعين لدين السيد المسيح عليه السلام ، فالديانة المسيحية كما علمها المسيح لا تعرف الدم ولا الحقد ، فمن أقواله فى « عظة الجبل » : طوبى للرحماء لانهم يُرْحَمون ، طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعايِنون الله ، طوبى لصانعى السلام لأنهم يُدْعَوْن أبناءَ الله » (٢) .

ومن أقواله الشهيرة التى وردت فى إنجيل لوقا : من ضربك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر ، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك ، ومن أخذ الذى لك فلا تطالبه به (٣) .

وقد جاء فى متى عند وصف القبض على السيد المسيح أن أحد أتباعه أخرج سيفه وحاول أن يدافع عن المسيح ، فقال له يسوع : رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيفَ يهلِكون (٤) .

والحق أن العنف وحب الدم والعدوان الذى عرف عن الصليبيين هو تراث آل لهم من حياة الإقطاع حيث كانت

---

(٢) انجيل متى الاصحاح ٥ الفقرات ٨ — ١١
(٣) لوقا ٦ : ٢٨ — ٣٠
(٤) متى ٢٦ : ٥٢

الحروب مستمرة بين ملاك الإقطاع بأوربا ، كما آل لهم من اليهود الذين عرفوا بالشر والفساد ، فلما نقل شاءول الفكر المسيحى من حال إلى حال ، ونقل السيد المسيح من رسول إلى ابن الله (٥) ... حينئذ استطاع أن ينقل للساحة المسيحية ما كان قد شاع بين اليهود من ظلم وعدوان وضحه القرآن الكريم بقوله :

— كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (٦) .

— ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة (٧) .

وكان من نتيجة ذلك أن توعدهم الله بقوله : وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب (٨) .

فى ضوء هذا نستطيع أن نتقدم للحديث عن الحركات الصليبية ، مقررين أن هذه الحركات كانت أكثر شراسة عندما

---

(٥) اقرأ كتاب « المسيحية » من سلسلة مقارنة الأديان للمؤلف .

(٦) المائدة ٧٠

(٧) البقرة ٨٤

(٨) الأعراف ١٦٧

ارتبطت بفلسطين فى الحروب الصليبية الشهيرة أو فى إقامة دولة إسرائيل بفلسطين •

الصليبية الغربية :

وهناك نقطة ذات صلة بالنقطة السابقة ، فقد ذكرنا أن العدوان الصليبى ليس مسيحى الجذور ، وإنما هو أوربى الدافع والمنبت ، ولهذا فإن الحركات الصليبية كانت عدواناً على المسلمين وعلى مسيحيِّى الشرق جميعاً ، وقد قامت بذلك دول أوربا الشرقية والغربية على السواء فقد اشتركت فيها فرنسا وانجلترا وألمانيا •• كما أسهمت فيها روسيا وبولندا والمجر [٩] •• وانضمت أمريكا لهذا الموكب المهاجم عندما ظهرت هذه الدولة فى الأفق •

إذلال المسيحيين العرب :

أما المسيحيون بالدول العربية فقد نزل بهم فى الغالب ما نزل بالمسلمين من عدوان ، وسنرى فيما بعد عندما نتحدث عن سقوط بيت المقدس فى الحروب الصليبية الأولى أن الصليبيين أحدثوا مجزرة أليمة وحشية ، ذُبِحَ فيها الرجال والنساء والأطفال من المسلمين والمسيحيين ، وقد

---

(٩) سنرى تفاصيل ذلك فيما بعد .

استولى الصليبيون على أديرة المسيحيين الشرقيين وطردوهم من الكنائس والبيوت ، فتبعثر المسيحيون فى جهات فلسطين وشرق الأردن ، وسار البطريرك إلى القاهرة ليعيش فى حماية الفاطميين (١٠) .

وتذكر المصـــادر التاريخية أن الصليبيين فى الإمارات التى كوّنوها بالشرق ، عندما أحسوا بقرب وصول الحملة الصليبية الرابعة ، بدءوا يهاجمون أرض الإسلام ، ومن ذلك أنهم خرجوا سنة ٦٠٠هـ من «عكا» فى عشرين سفينة ، وهاجموا دلتا مصر ، واتجهوا الى رشيد ، ومنها سلكوا طريق فرع النيل حتى مدينة «فوة» فدخلوها ، وأخذوا ينهبون ويسلبون ، ثم عادوا ومعهم الأسرى من الأقباط والمسلمين والغنائم ، وفى هجوم آخر قتل الصليبيون بعض سكان فوة من القبط وأسروا آخرين فاضطر الأســقف أن يغادر المدينــة حيث عاش بالفسطاط (١١) .

الصليبية الأوربية تشجع على خيانة الوطن :

ولكن ينبغى ألا ننسى أنه كان من أعمــال الصليبيين

---

(١٠) الأحداث سنرويها بتفاصيلها فيما بعد .

(١١) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ١٦١ والمقريزى : السلوك جـ ١ قسم ١ ص ١٦٣ وانظر د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٩٠٢

المهاجمين أن يثيروا العصبية الدينية عند أبنـــاء دينهم من سكان سوريا ومصر ، وإذا كان الفشل قد حالفهم غالبا ، فإنه كان هناك بعض ضعاف النفوس الذين استجابوا لهم ، فقاموا بدور الخيانة للوطن فى ذلك الوقت الحرج ، ولم يسمع هؤلاء للنصح والتوجيه الذى قدمه لهم زعماء المسيحيين المخلصين بسوريا أو زعماء الأقباط بمصر •

ومما قام به هؤلاء الخونة ما يذكره التاريخ أن الأرمن المسيحيين قدمـوا مساعدات واسعة للصليبيين فى الحرب الصليبية الأولى ، وتعاونوا معهم تعاوناً كاملا ، وسهلوا لهم الاستيلاء على «الرها» ، وعندما تحركت جموع الصليبيين بعد أنطاكية تجاه بيت المقدس اتصل الصليبيون بالموارنة ، فأسدى لهم هؤلاء خدمات جليلة لمعرفتهم بتلك المناطق فكانوا الأدلاء للصليبيين ، وكانوا خير عون لهم •

وفى مصر وُجِدَ بين الأقباط من خـان الوطن مثل « يعقوب فام » الذى انضم لجيش نابليون ، وجذب إليـه بعض الأقباط الآخرين فكون منهم ما سمى « اللواء القبطى » وكان أفراد هذا اللواء يرشدون الجيش الفرنسى إلى الأماكن التى اختفى بها أفراد حركة العصابات المصرية ، ويقودونهم

إلى أيسر الطرق للتغلب على المصريين ، وكانوا على العموم قوة أضيفت للمهاجمين [١٢] .

الدور الروسى فى العدوان على المسلمين :

لا ننسى أن المسيحية فى روسيا القيصرية أخذت دورها كاملا فى العدوان على المسلمين ، وبخاصة من غير العرب ، وكذلك فعل الاتحاد السوفيتى بعد الثورة الشيوعية ، فقد ابتلعت هـذه الدولة عدة أقطار إسـلامية مثل أوزبكستان وتركمانستان وجورجيا وأذربيجان ، وأطفأت عواصم إسلامية كانت مزدهرة بالفكر الإسـلامى مثل بخـارى وسمرقند ومرو وقد ذكرنا ذلك من قبل [١٣] .

واشتركت روسيا فى محاربة الامبراطورية العثمانيـة وإضعافها ، وأعملت الحـديد والنار فى الشعب الإسلامى بأفغانستان الذى يقاوم بصلابة حتى كتابة هذه السـطور (سنة ١٩٨٦) .

لقد كانت روسيا قبل النظام الشيوعى عدوا شـديد

---

(١٢) هذه الخيانات سترد مفصلة فى مكانها من البحث .

(١٣) انظر الجزء الثامن من موسـوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف .

العـداوة للمسلمين ، فلمـا قام النظام الشيوعى وألغيت الأديان ، لم يَخْتَفِ عَنَتُ الاتحاد السوفيتى ضـد المسلمين بل ربما تضاعف وزاد ، فقد كان هناك سباق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى الاعتراف بإسرائيل ، تلك الشوكة التى وضعها الصليب فى ظهر المسلمين ·



ذلك بيان لابد منه ، نبدأ بعده فى دراستنا التاريخية عن المواقف الصليبية ضد المسلمين ، والله المسئول أن يمنحنا التوفيق والبصيرة حتى نعرف ما أريد لنا وما يراد بنا ·

١ — الصليب فى الصراع المبكّر بين المسلمين والبيزنطيين (غزوة مؤتة)

كان الرومان يحتلون الشـــام ومصر والشمال الإفريقى قبل الإسلام ، وقد بدأ صراعهم ضد المسلمين منذ عهــد الرسول صلوات الله عليه ، فقد استطاع الرسول أن يقيمَ بالإسلام دولة قويَّة أصبحت لها دين واحد وأهداف واحدة ، بعد أن كان بالجزيرة العربية قبائل عربية متحاربة متنافرة ، وقد مثَّلت وحدة العرب خطراً ضد الفرس والروم ، وأبرزت كائنا جديدا يـُعـْمـَلُ له ألفُ حساب .

وبينما كان الروم يفكرون فى أمر هذه القوة الجديدة ومدى خطورتها ، أرسل محمد عليه السلام إلى هرقل عظيم الروم كتابا يدعوه للإسلام هو وقومه ، وكان معنى هــذا الخطاب — فى تقدير الروم — دعوة الامبراطورية للتَّبعيَّة العربية ، وكان هذا شيئا يدعو لإثارة الروم وإغضابهم ، ثم إن محمداً أرسل كتباً مماثلة إلى أمير دمشق وإلى المقوقس بمصر ، وكان معنى هــذا أن الرسول تخطى الامبراطور

وأخـــذ يتصـــل مباشرة بأمـــراء المناطق التى كانت تابعة للامبراطورية [١٤] وكان ذلك أيضاً مما آثار الرومان •

وجاءت الفرصة للرومان ليضربوا هذه القوة الناشئة ، وكانت هذه الفرصة متصلة بكتاب من كتب الرسول التى أشرنا إليها ، فقد كان ضمن كتب محمد صلوات الله عليه كتاب للغساسنة الذين كانوا أيضاً خاضعين للروم ، وكانوا أقرب للمسلمين من كل الدول التابعة للروم التى تلقت كتب الرسول ، ولذلك أوعز امبراطور الروم لتابعه من الغساسنة أن يقتل حامل كتاب محمد ، وهو الحارث بن عمير الأزدى ، وكان هـــذا عدوانا أراد المسلمون أن يثأروا له فيما سمى « غزوة مؤتة » ولكن الروم زحفوا مع الغساسنة بجيش لجب أوقع كثيرا من الخســـائر بجيش المسلمين ، وكان ذلك فى السنة الثامنة للهجرة [١٥] ، وكان الصليب شعار الروم وأعوانهم •

ومنذ ذلك الحين بدأ صراع مع الروم يمكن القول إنه امتد امتداداً طويلا ، وقد أخذ هذا الصراع ثوبا جديداً فى

---

(١٤) عن هذه الكتب يراجع : تاريخ الواقدى جـ ٢ ص ٣٣ وما بعدها والأموال لابن عبيد ص ٢٠ — ٢٤

(١٥) عن هـــذه الغزوة اقرأ موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف جـ ١ ص ٥١١ وما بعدها .

عهد أبى بكر ، فقد واجه أبو بكر مشكلات صعبة خلال عهده القصير ، وهى ثورات المرتدين ومانعى الزكاة والمتنبئين ، وهى ثورات كان الروم من خلفها ، فقد أيدوا الثائرين بالسلاح والرجال ، وحمَوْهم عندما انهزموا ، حتى ليقال إن حرب المسلمين ضد الروم كانت امتداداً لحرب المسلمين ضد المرتدين ومانعى الزكاة والمتنبئين .

ولذلك ما إن انتهى أبو بكر من هذه المشكلات حتى بدأ الزحف ضد الروم ، وساعده على ذلك أن الشام ومصر وفلسطين كانت دولا محتلة ليست مخلصة للروم ، وأمل المسلمون أن يجدوا من الأهلين بعض المساعدة لطرد هؤلاء المستعمرين القساة ، وقد جمع أبو بكر جيوشا عظيمة وجهها نحو الروم فى فيالق أربعة كبيرة يقودها :

١ — أبو عبيدة بن الجراح الذى كان قد لقبه الرسول بأمين الأمة ويتجه لغزو حمص وله القيادة العامة .

٢ — يزيد بن أبى سفيان ويتجه لغزو دمشق .

٣ — شرَحْبيل بن حَسَنَة ويتجه لغزو وادى الأردن

٤ — عمرو بن العاص ويتجه لغزو فلسطين (١٦) .

(١٦) الواقدى : فتوح الشام ص ٣ — ١٠ والبلاذرى : فتوح البلدان ص ١١٦ وتهذيب الأسماء للنووى القسم الثانى ج ١ ص ١٨

وكان تعداد الجيوش التى سُيِّرَتْ إلى الشام اثنى عشر ألفاً ولكنها زيدت إلى أربعة وعشرين ألفاً (١٧) .

ثم رأى أبو بكر أن يوحد جيوش المسلمين لمواجهة قوى الروم ، بل رأى أن يستدعى خالد بن الوليد من العراق لينضم إلى ميدان الشـــام وتكون له القيادة ، وقد حقق المسلمون نصراً عظيماً فى مواقعهم مع الروم حتى اضطر هرقل أن يفر من انطاكية إلى القسطنطينية ويروى أنه ودع سوريا وداعاً حزينا فقـــال قولته الشهيرة التى تتنبىء عن انقطاع أمل الروم فى هذه البلاد ، وهى :

السلام عليك يا سوريا ، سلام مودع لا يرجو اللقاء (١٨)

وبعـــد موقعة اليرموك انقسم جيش المسلمين قسمين اتجه قسم إلى الشمال بقيادة أبى عبيدة ، واتجه قسم إلى الجنوب بقيادة عمرو بن العاص ، وقـــد انتصر الجيشـــان واستطاع جيش عمرو أن يستولى على عـــكا وحيفا ويافا وغزة (١٩) وغيرها .

---

(١٧) المراجع السابقة ونفس الصفحات .

(١٨) الواقدى : فتوح الشام ١ : ٩٦ والبلاذرى : فتوح البلدان ١٤٠ — ١٤١

(١٩) الواقدى : فتوح الشام ج ١ ص ٦٣ — ٦٤

ولم يبق أمام المسلمين إلا بيت المقدس ، وقد دافع عنه الروم دفاعاً شديداً أنزل كثيراً من الخسائر بجنود المسلمين ، ولكن جنود المسلمين صبروا ، ولعبت السياسة دورها ، فقد اتصل المسلمون بالمسيحيين ببيت المقدس ، وكان المسيحيون يعانون المتاعب من حكم الروم ، كما كان المسلمون يعظمون بيت المقدس ، ولا يريدون مواصلة الضحايا من الجانبين ، وأحس أرطبون قائد الروم بهذه المناورات تدور حوله فهرب إلى مصر ، وطلب المسيحيون الصلح على أن يحضر الخليفة بنفسه لتسلم المدينة ويتعهد لسكانها بالحرية الدينية فكتب عمرو إلى عمر بذلك فحضر عمر وكتب بنفسه كتاب الأمان [٢٠] المسمى « العهدة العمرية » .

واتجه عمرو بعد ذلك لمقابلة قسطنطين بن هرقل عند قيسارية ، ولكن عوامل الذعر كانت قد استولت على الأمير الشاب فهرب تاركاً جيشه ، وسافر إلى القسطنطينية فى ظلام الليل ، كما هرب أبوه من قبل من أنطاكية إلى القسطنطينية .

لقد بذل المسلمون آلاف الضحايا فى حروبهم ضد الروم

---

(٢٠) الواقدى : فتوح الشام ١ : ١١١

فى سوريا وفلسطين ، فأصبحت هذه الديار بذلك غالية عليهم . فكم لهم بها من أرواح أزهقت ودماء أريقت .

وتقــدم عمرو بعد ذلك فاستولى على مصر ، وبدأ زحفه على الشمال الإفريقى ، ثم امتد الزحف فى عهد عثمان إلى برقة وطرابلس كما امتد الزحف بعد ذلك فى عهد الدولة الأموية حتى طرد الروم تماماً من الشمال الإفريقى ، وكانت قيادة المعارك فى العهد الأموى لعقبة بن نافع وحسان ابن النعمان وموسى بن نصير .

وفى العصر الأموى أيضاً وصــل النضال بين المسلمين والمسيحيين إلى مــدى هائل ، فقــد استطاع المسلمون أن يحاصروا القسطنطينية فى عهدى معاوية وسليمان بن عبد الملك واستولى المسلمون على كثير من جزر البحر المتوسط التى كانت تابعة للمسيحيين (٢١) .

وفى العصر العباسى قام العباسيون بحملات حربيــة رادعة تسمى فى التاريخ الإسلامى « الصوائف والشواتى » وأقام المسلمون كذلك سلسلة من الحصون الداخلية سميت

---

(٢١) تفاصيل هذه الأحداث بالجزء الثانى من موســوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف .

« العواصم » فى الجنوب ، وسميت « الثغور » فى الشمال ، وكان للعواصم والثغور نشاط هائل بين القوتين ، ومن المعارك الشهيرة فى العصر العباسى معركة خليج القسطنطينية ، ومعركة هرقلة ، ومعركة عمورية [٢٢] .

وهكذا استمر هذا الصراع أكثر من قرنين ، وفى كثير من الأحوال كان المسيحيون يحملون الصلبان ، ويخوضون المعارك باسم الدين .

---

(٢٢) التفاصيل بمصادرها فى الجزء الثالث من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف .

٢ — الصليب فى موقعة ملاذ كرد (١٠٧١)
بين السلاجقة والامبراطور البيزنطى رومانس الرابع

موقعة ملاذ كرد (مانزيكرت Manzikert) وما تسبب عنها :

فى سنة ١٠٧١ م حدثت موقعة ملاذكرد بين المسلمين والبيزنطيين ، وكان ألب أرسلان قائدا لجيش المسلمين ، وكان الامبراطور رومانس الرابع قائداً للبيزنطيين ، وتعتبر هذه الموقعة من المواقع الحاسمة فى التاريخ ، فقد هزم البيزنطيون هزيمة ساحقة ، فقتل منهم عدد لا يحصى امتلأت الأرض بجثث القتلى كما يقول ابن الأثير [٢٣] ، ووقع الامبراطور فى الأسر ، ويروى ابن العبرى أن ألب أرسلان عندما رأى الامبراطور الأسير وبخه وقال له : ألم أرسل لك فى المهادنة فأبيت ؟ .

— فأجاب الامبراطور : دعنى من التوبيخ وافعل ما تشاء .

فقال السلطان : ماذا كنت تفعل لو أسرْتنى ؟

---

(٢٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٦٣ .

فأجاب الامبراطور : القبيح .

قال السلطان : فما تظن أننى أفعل بك ؟

فأجاب الامبراطور : إما أن تقتلنى ، وإما أن تُشَهِّرَ بى فى بلادك ، والأخرى بعيدة وهى العفو وقبول الأموال وأصطناعى .

قال ألب أرسلان : ما عزمت على غير هذا [٢٤] .

أما صدى كارثة ملاذكرد فى القسطنطينية فكان أن أعْلِن ميخائيل السابع امبراطوراً (١٠٧١ — ١٠٧٨) ، ولما أطلق سراح رومانوس الرابع ألقى الامبراطور الجديد القبض عليه واعتبره مفرطاً فى حقوق البلاد فحكم عليه بأن تُسْمَل عيناه ويُقْتَل .

وفى أواخر عهد ميخائيل السابع شهدت بيزنطة ألواناً من الثورات الداخلية ، مما عرض البلاد الى اضطراب داخلى بالإضافة إلى الهزائم الخارجية .

وقد رفض الامبراطور الرومانى مهادنة المسلمين ،

---

(٢٤) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٨٥ .

واستمر فى العدوان ، ولكنه دفع الثمن غالياً ، وجعل بلاده ضعيفة أمام المسلمين ، وغير قادرة على حراسة الباب الشرقى لأوربا من الغزو الإسلامى الذى حرّكته بيزنطة ثم لم تَقْوَ على مواجهته ، وبذلك صار على الغرب الأوربى أن يقوم بحماية هـذا الباب بدلا من اعتماده على الامبراطـورية البيزنطية ، وكان ذلك من أسباب العدوان الصليبى الشهير ٠

وتذكر المراجع أن كثيرين من المسيحيين الأوربيين وفدوا على بيزنطة ليساعدوها فى هذه الحروب ضد المسلمين ، وكان هؤلاء يحملون الصليب رمزاً لتعاونهم مع البيزنطيين ٠

٣ — الحروب الصليبية الشهيرة

١٠٩٧ — ١٢٩٢ م

دعوة البابوية للحروب الصليبية :

فى سنة ١٠٨١ اعتلى الكسيوس كومنين الأول عرش الامبراطورية البيزنطية ، وقد شَغَلَ هذا العرش حتى سنة ١١١٨ ، وبذلك يكون هذا الامبراطور شخصاً مهماً فى تاريخ الحروب الصليبية ، فقد عاصر الفترة التى سبقتها ، وأدرك أن لا قبل لجيوشه بمواجهة المسلمين فأرسل استغاثة إلى البابا جريجورى السابع ثم عاصر مطلع هذه الحروب .

وقد تلقى البابا جريجورى السابع هذه الاستغاثة ، فرأى فيها اعترافاً ضمنياً بسلطانه المسيحى العام ، وقد كان جريجورى السابع من أعظم البابوات وأكثرهم نشاطاً ، وهو الذى جعل اختيار البابوات يتمّ بطريق «الكرادلة» وكان الأباطرة قبل ذلك يعينون البابوات ، وأراد جريجورى أن يتوج انتصاراته بأن يُخْضِع لسلطانه الكنيسة الشرقية ، فأعلنَ أن الكنيسة الغربية ستقود المعركة ضد المسلمين، انتصاراً لبيزنطة وللمسيحيين على العموم ، ولكن جريجورى مات قبل أن ينفذ هذا الوعد ، فجاءت استغاثة جديدة من الامبراطور

اليكسيوس إلى البابا الجديد « أوربان الثانى » ، وسرعان ما تحرك هذا البابا للاستجابة لهذا النداء ، فقد ذهب إلى فرنســا وعقــد هناك اجتماعاً فى كليرمونت فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٠٩٥ وألقى خطابه الشهير الذى أعلن به بدء الحروب الصليبية ، وقد جاء فيه :

Let The Truce of God be obserued at Home and let the arms of the Christians be directed to Conquering the infidi's.

« بأمر الله تتوقف العمليات الحربية بين المسيحيين فى أوربا ، ويتجه هؤلاء بأسلحتهم إلى هزيمة الكفرة (يقصد المسلمين) » .

وصاح البابا يخاطب الجماهير : لقد كنتم تحاولون من غير جدوى إثارة نيران الحروب والفتن فيما بينكم ، فالآن اذهبوا وأزعِجوا البرابرة ، وخلّصوا البلادَ المقدسة من أيدى الكفار ، وامتلكوها لأنفسكم فإنها كما تقول التوراة تفيض لبنــاً وعســلا .

وأعلن البابا أن كل من يشترك فى هذه الحروب تغفر له ذنوبه ويدخلَ فى حماية الكنيسة .

ولعل هذه الخطبة كانت أشد الخطب فى التاريخ وقعاً

وأبعدها أثراً ، هذا ولم يكن اختيار البابا جنوبى فرنسا مكاناً لخطابه من قبيل المصادفة ، إذ كانت تلك البقعة من القارة الأوربية قد اكتسحتها جموع المسلمين الزاحفة من إسبانيا ، ولذلك كان سكانها أشد استجابة لدعوة البابا لمحاربة المسلمين •

وما إن فرغ أوربان الثانى من خطابه حتى تقدم الألوف من سامعيه وحملوا الصلبان رمزاً للاستجابة لحامل الصليب الأكبر ، وبهذا عرفت هذه الحروب بالحروب الصليبية ، وإن كانت الصلبان قد استعملت فى الحقيقة قبل هذه الحروب وبعدها ، ولكنها هنا كانت عامة وشاملة •

ولم يكتف أوربان الثانى بما قاله فى كليرمونت ، وإنما أخذ ينتقل بين المدن والبلدان داعياً للحروب الصليبية ، فعقد مجمعاً فى ليموج (ديسمبر ١٠٩٥) ، وكرر الدعوة نفسها فى أنجرز وتورز وبواتيه وتولوز وغيرها (يناير — يونية ١٠٩٦) ، وأخيراً اصطحب البابا معه الأمير ريموند الرابع فى مجمع نيم (يولية — ١٠٩٦) ، مما يثبت أن هـذا الأمير قام مع البابا بدور جذرى فى الإعداد للحملة الصليبية الأولى ، وإن لم يـُعـَيَّنْ رسمياً قائداً لتلك الحملة (٢٥) ، ثم إن ريموند

(٢٥) Cambridge Mid. History Vol. 5. p. 273.

هو الذى نَبَّهَ البابا إلى ضرورة الاعتماد على مساندة قوة بحرية لتنفيذ مشروع الحرب الصليبية ، فأرسل أوربان الثانى بعثة إلى جنوة لتدفعها للمشاركة فى المشروع الصليبى الكبير ، ولم يلبث تجار جنوة أن استجابوا لدعوة البابا ، فأعدوا اثنتى عشرة سفينة حربية لمساندة الحملة ، فضلا عن ناقلة كبيرة ، وبذلك حققت جنوة لنفسها سبقاً كبيراً مكّنها من اكتساب حقوق فى بلاد الشام ، وهى حقوق لم يستطع البيازنة أو البنادقة الظفر بها إلا بعد جهد طويل .

وأقبل الأمراء وكثير من الناس على المشاركة فى الحركة الجديدة ، ليس فقط من البلدان القريبة ، مثل فرنسا وإيطاليا وإسبانيا ، بل أيضاً من البلدان البعيدة مثل انجلترا واسكتلندا والدانمرك وغيرها (٢٦) .

وكان ضمن الجموع التى استجابت لحمل الصليب عدد وافر من أرباب الخيال البعيد ، والنفوس المضطربة ، وعشاق المغامرات ، فهؤلاء كانوا على قدم الاستعداد دائماً للانضمام إلى كل حركة بارزة ، وكذلك المجرمون وأصحاب الخطايا

---

(٢٦) د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص ١٣٥

الذين أمّلوا الغفران بسيرهم إلى الأرض المقدسة التى لمستها قدما المسيح ، ومثلهم من مُنُوا بالشقاء الاقتصادى والاجتماعى ، فكان حمل الصليب راحة وتفريجاً لهمومهم أكثر منه تضحية (٢٧) .

وقد أناب أوربان عنه فى قيادة المتطوعين أحد الأساقفة واسمه أدهمار Adhmer ليكون للكنيسة السيطرة على الحركة الصليبية ، وحدد أوربان يوم ١٥ أغسطس سنة ١٠٩٦ بدء تحرك قوات الصليبيين ، كما حدد القسطنطينية مكاناً لالتقاء الجيوش الأوربية الزاحفة إلى الشرق وبعد أن أتم أوربان هذا التنظيم غادر فرنسا عائداً إلى إيطاليا .

ومن الملاحظ أن فرنسا كانت الأرض التى شهدت أول صيحة تطلق الحروب الصليبية ، ولهذا ، ولأن البابا الذى أعلنها ينحدر من أصل فرنسى ، فإن الحروب الصليبية تعتبر مشروعاً فرنسياً ، وكانت الانتصارات التى حققها هذا النشاط انتصارات لها الطابع الفرنسى ؛ فالإمارات التى أنشئت فى الشرق عقب نجاح هذه الحروب كانت إمارات فرنسية اللسان والعادات والمظاهر ، وكما يقول الأوربيون إنها كانت إمارات فرنسية الحسنات والسيئات ، ولعل فرنسا

---

(٢٧) August Krey : The First Grusade.

كانت أقدر من سواها على تغذية هــذه الحروب بالقادة والأبطال والأمراء والمحاربين وما تتطلبه هذه الحروب من أعباء٠

ويرى Barker [٢٨] أن انتداب فرنسا على سوريا بعد هزيمة تركيا فى الحرب العظمى الأولى يعد أثراً من آثار الحروب الصليبية ، **ورأى Barker هذا يدعم اتجاهنا بأن الحروب الصليبية لها امتدادات حتى العصر الحاضر ٠**

الحملة الصليبية الشعبية :

وقــد بدأت الحملات الصليبية بما يسمى فى التاريخ « الحملة الصليبية الشعبية » التى دعا لها بطرس الناسك ، وهو جندى قديم قد ترهب وأصبح كما يقول غوستاف لوبون مجذوباً شديد التعصب [٢٩] ، ويقول عنه Wells [٣٠] إنه طراز" من الرجال جديد" فى أوربا وإن كان يـُذَكِّرُنا بعض الشىء بالأنبياء العبرانيين ، وقــد قام هــذا الرجل يبشر بالحروب الصليبية لعامــة الناس ، وكان يقص عليهم إن صدقاً وإن كذباً ، قصة حَجِّه إلى بيت المقدس ، ويحدثهم عن التدمير المنطوى على الاستهانة البالغة الذى أنزله الأتراك

---

(٢٨) The Legacy of Islam.

(٢٩) غوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٣٠١ .

(٣٠) Wells : A Short History of the Middle East p. 71.

السلجوقيون بالقبر المقدس ، ويحدثهم عن ضروب الغصب والابتزاز الجائر والفظائع الوحشيَّة والقسوة المتعمَّدة التى ينزلونها بالحجاج المسيحيين الوافدين إلى الأماكن المقدسة ، وطوَّف هذا الرجل حافى القدمين ، وفى ثياب خشنة ، ومُمْتطياً حماراً وحاملا صليباً ضخماً ، بأنحاء فرنسا وألمانيا وهو يخطب فى كل مكان به جماهير جاشدة ؛ فى كنيسة أو شارع أو سوق .

وقد استجاب لبطرس الناسك ولأمثاله من الدعاة آلاف الناس ، فتكون منهم خمسة فيالق زحفت إلى الشرق وقد قضى على ثلاثة فيالق منها فى الطريق وبخاصة فى الصراع الذى دار بينها وبين سكان بلغاريا وهنغاريا ، ووصل الفيلقان الأخيران إلى القسطنطينية ، وسرعان ما أدرك الامبراطور فيهما قلة العدة وقلة النظام وضعف القيادة ، فدفعهما ليتخلص منهما إلى أرض السلاجقة حيث سحقوا فى المعارك التي قاموا بها (٣١) .

وجاءت بعد ذلك الحروب الصليبية السبعة وهى أشهر الهجمات الوحشية التى قامت بها أوربا ضد المسلمين بوجه

(٣١) غوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٣٢٣ .

عام وضد فلسطين بوجه خاص ، وقاوم المسلمون هـذه الهجمات بما يسمى الجهاد ، وكانت المقاومـة فاترة أحياناً وعاصفة أحياناً أخرى ، وانتصر المسلمون فى النهاية ، وأزالوا كل أقدام الزاحفين الدنسـة عن الأرض المقدسة بفلسطين ، وأعادوا هذه البقاع إلى أحضان العروبة والإسـلام •

وفى مسيرة سريعة يمكن أن نُصَـوِّر هـذه الجولات فيمـا يلى :

الحرب الصليبية الأولى :

كان يقودها جـودفرى وبوهيموند وريموند ، وكانت تضم مائة وخمسين ألفاً من الجنود ، وقد حققت هذه الحرب كثيراً مما أراده الزاحفون ؛ فقد استطاعوا الاستيلاء على مناطق واسعة من الأراضى الإسـلامية ، وكونوا الإمارات التالية :

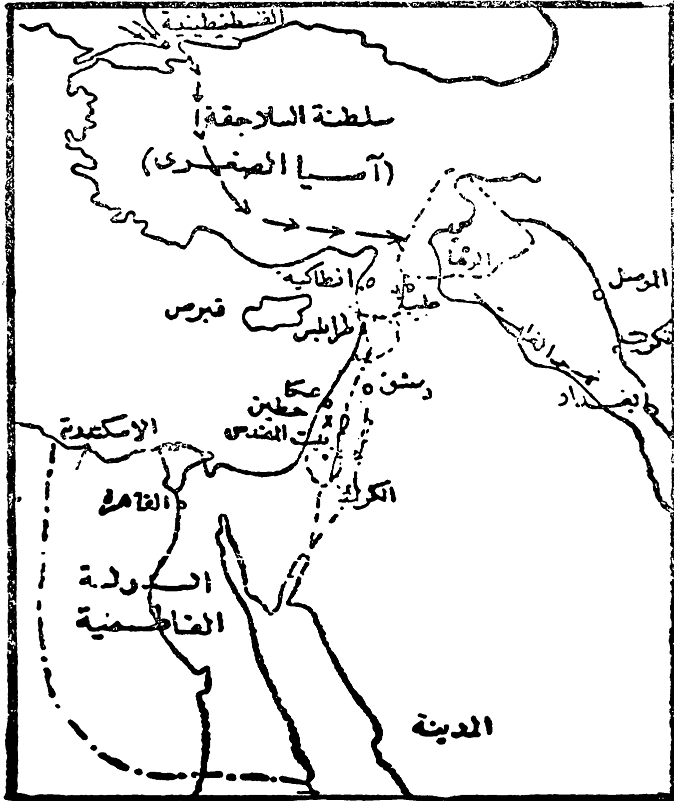
١ ــ إمارة الرها سنة ١٠٩٨ وحكمها بلدوين •

٢ ــ إمارة أنطاكية سنة ١٠٩٨ وحَكَمَها بوهيموند •

٣ ــ مملكة بيت المقدس سـنة ١٠٩٩ وحكمها جـودفرى (شقيق بلدوين) •

٤ ــ إمـارة طرابلس ولم تسقط فى أيـدى الغزاة إلا سنة ١١٠٩ وكان المفروض أن يحكمها ريموند ولكنه

مات وهو يحاصرها ، فلما سقطت أصبح برتراند أخوه أميراً لها (٣٢) .



الزحف الصليبي وتكوين الإمارات اللاتينية بالشام

---

(٣٢) Combridge. Mid. History Vol. 5 p. 283.

فظائع ارتكبها الصليبيون ببيت المقدس وما حوله :

يقول ابن خلدون [٣٣] : استباح الفرنجة بيت المقدس وأقاموا فى المدينة أسبوعاً ينهبون ويدمرون ، وأحصى القتلى بالمساجد فقط من الأئمة والعلماء والعباد والزهاد المجاورين فكانوا سبعين ألفاً أو يزيدون ...

ويقول : Wells [٣٤] حدثت ببيت المقدس مذبحة رهيبة ، وكان دم المقهورين يجرى فى الشوارع ، حتى لقد كان الفرسان يصيبهم رشاش الدم وهم راكبون ، وعندما أرخى الليل سدوله جاء الصليبيون وهم يبكون من فرط الفرح ، وخاضوا الدماء التى كانت تسيل كالخمر فى معصرة العنب ، واتجهوا إلى الناووس ورفعوا أيديهم المضرجة بالدماء يصلون لله شكراً .

ويقول المؤرخ المسيحى الأستاذ نقولا زيادة [٣٥] : والحملة الصليبية الأولى ، والفظائع التى ارتكبتها فى طريقها وفى احتلال القدس ليست مما يشرف ، وقد تظهر لنا رغبات

---

(٣٣) ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ١٨٤ .
(٣٤) Wells : A Short History of the Middle East p. 74.
(٣٥) د . نقولا زيادة : الصليبيون فى الشرق ص ١٠٤ .

الصليبيين من خلال تصرفهم السيىء مع مسيحيى فلسطين أنفسهم ، فقد استولوا على أديرتهم وطردوهم من الكنائس والبيوت ، فتبعثر المسيحيون فى جهات فلسطين وشرق الأردن ، وسار البطريرك إلى القاهرة ليعيش فى حماية الفاطميين .

وامتد التدمير إلى الأماكن الأخرى التى احتلها الصليبيون ، ويقول ابن الأثير (٣٦) واصفاً ما حدث لمعرة النعمان : إن ريموند حاصر معرة النعمان مسقط رأس أبى العلاء المعرى ، ثم زحف رجاله ودخلوها بعد ذلك ، وحينئذ قتلوا ما يزيد عن مائة ألف نسمة ، وأشعلوا النار حيث أكلت المدينة .

الجهاد ضد الصليبيين فى هذه الفترة :

فزع المسلمون لما نزل بهم وبأرضهم من احتلال وبخاصة بالنسبة للأرض المقدسة بفلسطين فتجمعت القوى الإسلامية لرد هذا العدوان ، ولعب الأبطال والعلماء دوراً كبيراً فى حث المسلمين على الدفاع عن أرضهم ودينهم وتراثهم ،

---

(٣٦) محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية جـ ٢ ص ٣٠١ .

فهبت الجموع حيث أقضت مضجع الغزاة فاستعادت مصر الرملة سنة ١١٠٢ بعـــد موقعة قتل فيهـــا عدد كبير من الصليبيين ، ويقول ابن الأثير إنه قتل من الصليبيين فى هذه الموقعة مقتلة عظيمة ، واستعاد المسلمون إمارة الرها على يد عماد الدين زنكى سنة ١١٢٧ (٣٧) •

وصرخ الصليبيون بالشـــام يطلبون العون من أوربا ، وإلا ضاعت الأرض وضاع الغزاة فكان ذلك سبب الحرب الصليبية الثانية •

الحرب الصليبية الثانية :

بدأ زحف الغرب لهذه الحرب سنة ١١٤٧ وكانت برعاية لويس السابع ملك فرنسا وكنراد الثانى امبراطور ألمـــانيا ، وقد فشلت هذه الحملة فشلا تاماً لأن امبراطور القسطنطينية لم يتعاون معها إذ أن إمارات الصليبيين بالشرق لم تخضع له كما كان يَتَوَقَّع ، ثم إنه لم يكن هناك وفاق بين الجيشين الفرنسى والألمـــانى ، وعاد الملكان يجران أذيال الخيبة ، وليس لهذه الحرب من أثر إلا الأسلحة التى تركها الملكان لحكام الولايات الصليبية بالشام ليدافعوا بها عن أنفسهم •

---

(٣٧) Emerton : Midiaeual Europe pp. 375-376.

الجهاد بعد الحرب الصليبية الثانيـــة :

كان جهاد المسلمين بعد الحرب الصليبية الثانية أروع جهاد ، فقد استطاع نور الدين زنكى بن عماد الدين زنكى سالف الذكر أن يهزم أمير أنطاكية وأن يستولى على بعض هذه الإمارة سنة ١١٤٩ وأن يكمل انتصار أبيـــه على الرهـــا فاستولى على المدن التابعة لهذه الإمارة التى لم يكن أبوه قد استولى عليها ، وأسر أميرها سنة ١١٥١ .

نور الدين زنكى :

ومد نور الدين سلطانه لدمشق التى كانت معرضـــة لزحف الصليبيين ، كما مـــد نفوذه لمصر التى كان بها اضطراب داخلى ، وكانت أطماع الصليبيين تمتد لها ، وبذلك حاصر نور الدين زنكى ما تبقى من أملاك الغزاة بفلسطين (٣٨) .

صلاح الدين الأيوبى :

وجاء صلاح الدين الأيوبى بعـــد نور الدين ، فأكمل رسالته ، ويقول عنه Emerton **(٣٩) :**

---

(٣٨) عمـــاد الـــدين الاصفهانى : تاريخ آل ســـلجوق ص ٢٠٤ — ٢٠٦ .

(٣٩) Emerton : Op. Cit., p. 376.

« بعد الحرب الصليبية الثانية مرت فترة لم تقم أوربا خلالها بأى نشاط عسكرى ضد المسلمين ، وفى هذه الأثناء حدث أكبر حادث فى تاريخ الحروب الصليبية ، وهو ظهور صلاح الدين الأيوبى ، وبينما كان المعسكر الإسلامى يقوى بهذا البطل كان المعسكر المسيحى ينهار ، فقد كانت الإمارات اللاتينيـــة تعيش فى أتعس الظروف التى يخلقهـــا النظام الإقطاعى ، ومال المحتلون إلى الدعة يوماً بعد يوم ، ونسوا ما تتطلبه حياتهم كغاصبين من مهام ومسئوليات ، أما المعسكر الإسلامى فقد حصل فى هذه الأثناء على مكانة حققها لــه القائد الجديد الذى كان أعظم شخصية عرفها عصر الحروب الصليبية ليس فقط فى بطولته الحربية ، بل فى صفاته الشخصية التى تضعه فى القمة بين العظماء والمصلحين ، لقد كان صلاح الدين يعرف أهدافه الحربية ويجيد التخطيط لها ، وكان من رعاة العلوم والمعارف ، وكان مثالا طيباً فى الوفاء بالوعد والشهامة والكرم ، وعلى النقيض من كفاءته ومن صفاته ، كان ينتسم معاصروه من حــكام الولايات اللاتينية ، الذين كانوا همجاً وبرابرة » .

ومن أعظم المواقع التاريخية المرتبطة بالحروب الصليبية

موقعة « حطين » التى أدت لتحرير بيت المقدس ، ولهـذا نفسح المجال للكلام عن هذه الموقعة ، ثم نتحدث عن تحرير بيت المقدس من العدوان الأثيم ٠

موقعـــة حطـــين :

تعتبر موقعة حطين من أشهر المعارك فى تاريخ العالم ، وقد وقعت فى **الثالث والرابع من يوليو** سنة ١١٨٧ م وحطين سهل جبلى بالقرب من بحيرة طبرية المجاورة لبيت المقدس ، وكان عسكر الإفرنج فى هذه الموقعة يتكون من عشرين ألفاً ، بقيادة ملك بيت المقدس « غى ده لوسينيان » ورجنلد (أرناط) أمير قلعة الكرك ، **وقد قضى المسلمون على هـــذا الجيش كله ، فسقط بعض رجاله قتلى ووقع الباقون فى الأسر ، وكان ملك بيت المقدس وأمير قلعة الكرك من بين الأسرى ٠**

وتتحدث المراجع العربية عن موقعة حطين فتصـــور بأسلوب طلى مواقف البطولة التى وقفها المسلمون فى هذه المعركة ، وفيما يلى مقتطفات من هذه الأحاديث :

ــ فى يوم السبت ٢٥ من ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ ــ ٣ من يولية ســـنة ١١٠٧ م ، التقى الناصر صـــلاح الدين بجيوش الصليبيين غربى بحيرة طبرية فى موضع يعرف باسم

اللوبيا وحال بجيشه دون وصول الصليبيين إلى ماء بحيرة طبرية ، وطاف صلاح الدين على جيوش الإسلام ، يحرضهم على القتال ، وكلما توجه فريق من الصليبيين نحو البحيرة كان مصيره القتل أو الأسر .

— ورنت القسى وغنت الأوتار ، وبرزت السيوف فى الملأ عارية ، واشتعلت الحرب ، فرجا الفرنج فرجاً ، وهيهات أن ينالوا مخرجاً ، فكلما خرجوا جُرِحُوا ، وبَرَحَ بهم الحَرَبُ (الهلاك) فما بَرَحُوا ، وكلما ساروا وشدّوا أسِرُوا وشُدّوا ، فعادت أسودُهم قنافذ ، وضايقتهم السهامُ فوسّعت فيهم الخَرْقَ النافذ .

— ولما اشتد القتالُ والفناء بصفوف الصليبيين ، لجأ من استطاع منهم الفرار إلى جبل حطين ، وحطين قرية عندها قبر النبى شعيب عليه السلام .

— آوى هؤلاء إلى جبل حطين رجاء أن يعصمهم من طوفان الدمار ، فأحاطت بحطين بَوَارقُ البوار ، ورَشَقَتْهم الظُّبَا ، وفَرَشَتْهم على الرُّبا ، ورشقتْهم المنايا ، وقَرَشَتْهم البلايا (٤٠) .

---

(٤٠) مقتطفات من الفتح القسى فى الفتح القدسى لعماد الدين الاصفهانى ومن مفرج الكروب لابن واصل .

واشتعلت المعركة وبين مـد وجزر انهزم الصليبيون وسقطت خيمة الملك الصليبى وسجد السلطان صلاح الدين شكراً لله على ذلك .

— وقد حدث أن استسلم من نجا من القتل من الصليبيين ونزلوا عن دوابهم وجلسوا على الأرض ، فصعد المسلمون إليهم ، واستولوا على خيمة الملك ومن بها ، وأسروا الجنود الأحياء عن بكرة أبيهم .

— فمن شاهد القتلى فى ذلك اليوم ، قال ما بقى هناك أسير ، ومن عاين الأسرى قال ما هناك قتيل .. وتمت هذه النُّصْرَةُ يوم السبت ، وضُرِبَتْ ذِلة أهل السبت على أهل الأحـد ..

— استعرض الناصر صـلاح الدين بعـد ذلك كبار الأسرى بعد أن صلى لله تعالى صلاة الشكر على نعمة النصر ، وأجلس ملك القدس الصليبى بجانبه وأذن له بشربه مـاء مثلوج ، وأجلس رجنلد بجانب الملك ، وهو ينوى تنفيذ نذره فيه لمَساءاته السابقة وشـدة عناده ، فلم يكن فى الفرنج أحدٌ أشـدَّ عداوةً منه للمسلمين .

ولما ناول الملك كأس الماء إلى رجنلد ، قال له صلاح الدين : لم آذن لك فى سقيه الماء (حتى لا يوجب ذلك أماناً له) •

وأخذ الناصر يذكّر رجنلد بجرائمه قائلا له : كم تحلف وتَنْكُث ؟ ثم أمر بنقل الأسرى إلى موضع عيَّنه لهم ، واستدار إلى رجنلد وقال له : « هأنذا أنتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم » فقد كان رجنلد عندما غدر بالقافلة القادمة من مصر إلى الشام قال لها : قولوا لمحمد يخلصكم •

وعرض صلاح الدين الإسلام على رجنلد فأبى ، فاستل التمنجاه (خنجر مقوس يشبه السيف القصير) من وسطه وضربه بها فحل كتفه وأجهز عليه من كان عنده من الخدم • وقال الناصر : كنت نذرت مرتين أن أقتله إن ظفرت به ، إحداهما لما أراد المسير إلى المدينة المنورة والثانية لما أخذ القافلة غدراً •

ويعلّق Emerton [٤١] على هذه الموقعة بقوله : « إنها وضعت سلطة الحياة والموت فى يد صلاح الدين ،

---

(٤١) Emerton. op. cit. p. 377.

ولكنه استعمل هذه السلطة فى أضيق الحدود ، وظهر الفرق جليا بين معاملة صـــلاح الدين للفرنجـــة ومعاملة الفرنجة للمسلمين التى حدثت قبل ذلك بثمان وثمانين سنة ، والموقف الصارم الوحيد الذى وقفه صلاح الدين كان مع رجنلد الذى يصفه المؤرخون بأنه كان مغامراً أهوج ، حتى لقد أنزل قواه مرة على أرض الحجاز المقدســة ، وشاع أنه ينوى نقل جثمان محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى الكرك ، وأن يفرض رسوماً فادحة على حجاج المسلمين ، ولم يصده عن هــذا إلا فرقة مصرية نقلت إلى هناك على جناح السرعة فى أسطول جهز بعجلة ، ولهذا ولسواه أقسم صلاح الدين أن ينحره بيده وقد حانَ آنذاك الوقتُ للبِرِّ بالقَسَم ، وقد حاول رجنلد أن ينال النجاة فشرب المـــاء فى خيمة صلاح الدين معتقداً أن التقليد العربى يُؤَمِّن من أكل طعام المضيف أو شرب ماءه ولكن صلاح الدين أجاب بأن هذا لا يؤَمِّنه ، لأن الماء طَلِبَ ولم يُقَدَّمْ ، وهوى صلاح الدين بالسيف على عنق هــذا الطاغية ، وقد ارتعد ملك بيت المقدس آنذاك ، ولكن صلاح الدين رد الأمان إلى نفس الملك بقوله : إن الملك لا يقتلُ الملكَ » (٤٢) .

---

(٤٢) انظر كذلك أبو شـــامة : الروضتين ج ٢ ص ٧٥ وما بعدها وابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٦٤ .

بعد موقعة حطين :

كانت موقعة حطين المعركة الحقيقية التى دمرت قوى الصليبيين ، وتركت أجسامهم دامية وعقولهم خاوية ، وكانت نتائجها بعيدة المدى ، فقد سقط فيها أكثر الأمراء والنبلاء والقادة ما بين قتيل وأسير ، حتى أصبحت جيوشهم لا تكاد تجد من يقودها أو من يدبر أمرها كما أن من مآثر هذه المعركة أن اسم صلاح الدين أصبح شديد الرهبة ، وأصبح يحمل معنى الموت الزؤام للصليبيين ، فلم يعد سهلا على جيوشهم أن تقابله ، ولم يعد عيباً أن تستسلم الجيوش إليه ، وقد انتهز صلاح الدين هذه الفرصة فراح يجنى ثمار جهاده الناجح فى موقعة حطين ٠

اتجه صلاح الدين إلى حصن طبرية فاستسلم إليه ، وسار إلى عكا فاحتلها وأقام بها قليلا ، ومنها أرسل الجحافل فاستولت على الناصرية وقيسارية وحيفا ، ثم اتجه صلاح الدين إلى صيدا فاستولى عليها ، وواصل سيره الى بيروت فاستسلمت له بعد حصار قصير ، وهكذا سقطت كل المدن الكبرى وكل القلاع فى يد صلاح الدين [٤٣] ، فاتجه إلى بيت المقدس ليتوج بفتحه انتصاراته ٠

---

(٤٣) ابو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ٧٥ ٠

تحرير بيت المقــدس :

حاول صلاح الدين أن يدخل المدينة المقدسة صلحاً لمــا لها من مكانة روحية فى نفوس المسلمين ، وحرصــاً على أن تَسْلَمَ من دمار الحرب لو هبت بها الحرب ، ولكن القدس كانت قد أصبحت أقوى حصون الفرنجة ، إذ هرب إليها كل من نجا من المعارك السابقة أو أفلت من حصار ، أو خرج من المدن والقلاع التى استسلمت أو فتحت عنوة ، **ثم إن أمير الرملة (باليان دى إيبالين) كان أسيراً فى يد صلاح الدين منذ سقوط الرملة ، وكانت أسرته فى القدس ، فاستأذن باليان أن يذهب القدس لإحضار أسرته ، وأقسم أن يبرَّ بوعــده وألا تطول بالقدس إقامته ، ولمــا وصل باليان استقبله جند الفرنجة وأحاطوا به ، فقد كان باليان طِلْبَتَهم ، وكان القائد الذى ينشدونه ليقودهم فى الدفاع عن العاصمة المقدسة ، وأغراه الفرنجة بحنث عهده مع صلاح الدين فاستجاب لهم ، واستكملت المدينة به عدتها للصراع .**

وأحاط صلاح الدين بالمدينة واتخذ جبل الزيتون مركزاً لجيوشه ، وهناك نصبَ المجانيقَ وأخذ يُلقى على أسوارِ المدينةِ وابلا من الحجارة ، ففر المدافعون واحتموا بالأسوار الضخمة ، وبذلك تقدم المسلمون من الأسوار وأخذوا ينقبونها

تحت وابل من السهام المتبادلة بين المهاجمين والمدافعين ، وقد اتضح للفرنجة أن النصر سيحالف العرب كما حالفهم من قبل ، ويئسوا من تحقيق أى انتصار فى ضوء ما رأوه من استماتة العرب والمسلمين ، وبهذا مال هـؤلاء للصلح وطلبوه ، واتفق الطرفان على أن يخرج الفرنجة سالمين من المدينة فى مدى أربعين يوماً ، وأن يدفع الرجل منهم عشرة دنانير والمرأة خمسة ، والصبى دينارين ، ووفى المسلمون بهذا الوعد متناسين الدماء الغزيرة والأرواح الكثيرة التى أزهقها الفرنجة يوم انتصارهم فى بيت المقدس منذ حوالى تسعين عاماً ، **وكان ضمن من خرجـوا طبقاً لهذه الشروط البطريرك الأكبر يحمل أموال البيع وذخائر المساجد التى كان الصليبيون قد نهبوها فى فتوحهم ، وقال بعض المسلمين لصلاح الدين : إن هـذا البطريرك يقوى بهذا المـال على حرب المسلمين ، فأجاب صلاح الدين : الإسلام لا يعرف الغدر ، لقد أمَّنَّاه وعلينا الوفاء ، وخرج الرجل بهذا الثراء ٠**

ويروى أن مجموعة من النبيلات والأميرات قلن لصلاح الدين وهن يغادرن بيت المقدس : « أيها السلطان ، لقد مننت علينا بالحياة ، ولكن كيف نعيش وأزواجنا وأولادنا فى أسرك ؟ وإذا كنا ندع هذه البلاد إلى الأبد فمن سيكون معنا من الرجال للحماية والسعى للمعاش ؟ أيها السلطان هب لنـا

أزواجنا وأولادنا فإنك إن لم تفعل أسلمتنا للعار وللجوع » فتأثر صلاح الدين بذلك ، وكأنما أحس أن من واجبه أن يحمى هذه الأعراض من قسوة الطغاة ، فوهب لهن رجالهن وأضاف بذلك جديداً على شهامته وعلو نفسه .

قسوة الصليبيين بعضهم مع بعض :

ويقرر Stanley Lane - Poole [٤٤] أن كثيرين من الفرنجة الذين سقطت قلاعهم وبلادهم راحوا يطرقون أبواب المدن التى كانت لا تزال فى أيدى الفرنجة ، ولكن هذه المدن أقفلت أبوابها فى وجوههم ، وقد عَبَرَ بعضهم البحر إلى أوربا وكثيرون منهم اندمجوا فى غمار الحياة فى ظل الإسلام فوجدوا رعاية طيبة وترحيباً كريماً ، أما المسيحيون العرب فقد عادوا فى ظل صلاح الدين للعيش الهنىء الذى ضمنه لهم الإسلام فيما ضمن من حقوق لغير المسلمين فى المجتمع الإسلامى .

وعاد بيت المقدس إلى أحضان الإسلام ، ودوّى صوتُ المؤذن فى المسجد الأقصى ، وسكت ناقوس المسيحيين ، وأنزل رجال صلاح الدين الصليب الذهبى من فوق قبة الصخرة .

---

(٤٤) Egypt in the Middle Ages.

دعاء وابتهال :

أيها القارىء الكريم ، تَوَقَّفْ معى هنا لندعو الله ونبتهل لـه أن يوفق جيلنا لاستعادة بيت المقدس وأن يهب المسلمين قائداً فيه كفاءة صلاح الدين وأخلاقه ليقودنا إلى النصر الذى تعثر ، يا رب ، يا رب .

وإذا اتجه قادتنا ليضرب بعضهم بعضا ، أو اتجـه بعضهم ليوجه ضرباته إلى شعبه ، فابعث لنا قائدا فيـه الرشد والصلاح ليزيل عنا الغمة . يارب .

الحرب الصليبية الثالثة :

تولى قيادةَ هذه الحرب ملوكُ أوربا الكبارُ ، وهم فردريك برباروسا امبراطور ألمانيا ، وريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا ، وفيليب أغسطس ملك فرنسا ، وقد غرق فردريك وهـو يعبر نهراً بأرمينيا فى الطريق إلى الشـام ، ولم يتبع ابنَه إلا عددٌ قليل من جيش أبيه ، واتجهت هذه الجيوش لحصار عكا ، وشهدت عكا أقوى هجوم من الصليبيين ، وأقوى دفاع من البطل صلاح الدين ، وأظهر المسلمون ألواناً من التضحيات والبطولة ، كما أظهر الصليبيون صوراً من الشجاعة، إذ عد الملوك الكبار هزيمتهم ضربة تهدد أوربا بالفناء ، وقد

رجحت كفة الصليبيين بسبب بحريتهم القوية وسيطرتهم على المرفأ ، مما أدى إلى استسلام المدينة مقابل شروط أهمها ألا يتعرض الصليبيون لقوة الدفاع بسوء ، مقابل فدية باهظة ، ولما توانى المسلمون فى تقديم الفدية فتك النصارى بأسراهم (٤٥) ، فدل هذا التصرف الغادر على أن أسلوب أوربا هو هو لا يتغير فى كل زمان ومكان .

ولم يكن سقوط عكا كافياً لتثبيت أقدام النصارى بفلسطين ، وظهر أنه ليس فى مقدورهم الحصول على فتوحات أخرى ، ومل ريتشارد الحرب ، وخاف على ملكه البعيد ، فجرت مراسلات ومشاورات بين الطرفين أوردها ابن شداد ، ونقتبس منه أهم ما جاء بهذه المراسلات (٤٦) :

كتب ريتشارد إلى صلاح الدين يقول : إن المسلمين والفرنج قد هلكوا وخربت ديارهم وتلفت الأموال والأرواح ؟ وليس هناك حديث سوى القدس والصليب ، والقدس متعبدنا ما ننزل عنه ، والصليب خشبة عندكم لا مقدار له ، وهو

---

(٤٥) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٦٤ .
(٤٦) المرجع السابق .

عندنا عظيم ، فيَمُنُّ به السلطان علينا ونستريح من هـذا العناء .

فأجاب صلاح الدين : القدس لنا كما هو لكم ، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم ، فإنه مسرى نبينـا ، ومجتمع الملائكة ، فلا يُتَصَوَّر أن ننزل عنه ، وأما البلاد فهى لنا ، واستيلاؤكم عليها كان طارئاً لضعف المسلمين ، وأما الصليب فهلاكه عندنا قُرْبَة عظيمة فلا يجوز أن نفرِّط فيه إلا لمصلحة أوفى منه .

صلح الرملة :

وقد ظلت المراسلات والمشاورات مدة طويلة وانتهت بعقد صلح الرملة فى الثانى من تشرين الثانى سنة ١١٩٢ تُرِكَ للنصارى فيه قطعة ضيقة من الساحل بجوار عكا تمتد من صـور حتى حيفا ، وتسمح لحجاجهم بزيارة الأماكن المقدسة عُزَّلا من السلاح ، واحتفظ صلاح الدين بفتوحاته فى اللد والرملة وعسقلان كما احتفظ بداخل البلاد وانتهت بذلك الحرب الثالثة .

ويذكر Emerton [٤٧] أن السبب فى فشل الحرب

---

(٤٧) Emerton Op. Cit., p. 378.

الصليبية الثالثة أن الملوك الثلاثة لم يحملوا السلاح كرجال يدافعون عن الدين وإنما كملوك يعملون لأمجادهم الخاصة ، أما ريتشارد الذى يُعَدّ أحدَ أبطال الحروب الصليبية فإنه لا يمكن أن يحمل هذا اللقب إلا فى حدود تفكير العصور الوسطى ، فلقد كان الرجل من البرابرة الذين لا يحترمون القوانين ولا يتخلقون بسجايا رفيعة ، ولذلك فإن ريتشارد إن صلح كقائد عسكرى لا يصلح قط حاكماً لأمة أو مديراً لمعركة خطيرة من هذا النوع .

الجهاد بعد الحرب الصليبية الثالثة :

استطاع المسلمون أن يحافظوا على النصر الذى حققه صلاح الدين ، وبسبب انتصارات صلاح الدين وصمود خلفائه من بعده اضطربت أحوالُ الحركات الصليبية كما سنرى فيما يلى :

الحرب الصليبية الرابعة :

اتجه الصليبيون فى هذه الحرب إلى القسطنطينية فاستولوا عليها سنة ١٢٠٣ — ١٢٠٤ م ، وبهذا تغير الهدف من الحروب الصليبية تغيراً عظيماً (٤٨) .

---

(٤٨) Dears Eduin : The Fall of Constontnople p. 187.

الحرب الصليبية الخامسة :

اتجهت هذه الحملة لمصر ، إذ تبين للصليبيين أن مصر هى مركز القوة فى المنطقة وأن احتلال مصر سييسر احتلال الشام والعودة لاحتلال بيت المقدس ، وكان السلطان فى مصر قد آل للملك الكامل ابن أخى صلاح الدين ، وكان الملك الكامل يواجه بعض الصعوبات الداخلية ، كما كان المغول قد بدءوا يزحفون تجاه البلاد العربية ، واستطاع الصليبيون أن يحتلوا دمياط بعد مقاومة جبارة من المصريين (٤٩) .

الصليبيون يكشفون عن نواياهم :

كان الملك الكامل حريصاً على أن تنجو مصر من التدمير الصليبى ، فاتجه إلى التضحية ببعض الانتصار الضخم الذى حققه عمه صلاح الدين ، رجاء أن يجلو الصليبيون عن دمياط فعرض عليهم شروطاً سخية هى أن يمنحهم بيت المقدس ، ويطلق أسراهم ، ويعيد الصليب الذهبى الذى كان صلاح الدين قد أنزله من فوق قبة الصخرة عقب استردادها .

ولعل الملك الكامل كان يظن أن بيت المقدس هى هدف الصليبيين ، وأن مَنْحَهُ لهم سيضع حداً لهذه الحرب التى

---

(٤٩) أبو شامة : ذيل الروضتين ص ١٠٩ .

طالت وشقى بها الناس فى الشرق والغرب ، ولكن الصليبيين أعلنوا عن أهدافهم عندما رفضوا هذا العرض متطلعين إلى الاستيلاء على سوريا ومصر جميعاً ، وتقدموا فعلا تجـاه القـاهرة •

ولم يبق أمام الملك الكامل إلا النضال ، بيد أن فكرة ذكية خطرت ببال المصريين فجعلت الحرب تسير فى جانبهم ، فقد قطع المصريون جسـور النيل فأغرقوا الأرض بالمـاء وعجز الصليبيون عن الاستمرار فى الزحف بل أصبحوا مهددين بالجـوع والهلاك ، فطلبوا الصلح على أن يتركوا دمياط دون مقابل ، وقد رفض بعض أمراء الأيوبيين ذلك وأصروا على القضـاء على الصليبيين ، وأسرعوا فأحاطوا بهم من الشمال ومن الجنوب ، ومنعوهم من العودة إلى دمياط ، ولكن الملك الكامل كان يريد أن يتفرغ لمشكلاته الداخلية ، ثم إنه كان قد اذيع أن الامبراطور فردريك على وشـك الوصول ، فأراد الملك الكامل أن يطهر مصر من الصليبيين قبل وصوله ، مخافة أن ينضم لهم وهم محاصرون ، وتم الاتفاق على الجلاء دون قيد ، وجلا العدو مكللا بالخيبة والعار •

وانتهت بذلك هذه الحملة القاسية وتطهرت أرض الوطن بعون النيل الذى طالما قدم ألواناً من العون للمقيمين على ضفافه .

الحرب الصليبية السادسة :

تعتبر الحرب الصليبية السادسة تكملة للحرب الخامسة أو ذَيْلاً لها ، فإن فردريك جاء إلى سوريا ومعه حامية قليلة ، ولم يضرب ضربة واحدة ولكنه حاول أن ينتفع بالعرض الذى كان الملك الكامل قد عرضه على الصليبيين إبان احتلالهم دمياط ، وكانت هناك مشكلات داخلية كثيرة تحيط بالملك الكامل ، فأرسل فردريك إليه يطلبُ المفاوضة معه على أساس تسليم بيت المقدس ، ولكن الملك الكامل رفض المفاوضة على هذا الأساس ، فقد كان مستعداً أن يسلِّم القدسَ لتنجوَ مصر ولكن مصر نجت بدون هذه التضحية الباهظة ، بيد أن فردريك اتخذ جانب الاستعطاف واللين مع الملك ، وفى بعض المراجع أنه أرسل له رسالة جاء فيها : « أنت تعلم أنى أكبرُ ملوكِ البحر ، وقد علم البابا والملوك باهتمامى وطلوعى ، فإن رجعت خائباً انكسرت حرمتى بينهم ، وهذا القدس هو سبب ضجرهم والمسلمون قد خربوا المدينة فلم يعد لها طائل ، فإن رأى السلطان أن يُنْعِمَ علىَّ بقبضة البلد

والزيارة ، كان ذلك منه صدقة ورفع رأسى بين الملوك » [٥٠] ولا يستبعد الباحثون أن يستعطف فردريك الملك الكامل على هذا الوجه ، فقد نشـأ فردريك فى صقلية وتربى فى كنف الحضارة الإسلامية ، وشب على حب المسلمين وحضارتهم[٥١].

اتفاقية يافا وإعادة بيت المقدس للصليبيين :

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الملك الكامل كان يميل إلى التسامح ، وكان يريـد أن يتم اتفاق عـلى بيت المقدس ، اتفاق يُرْضِي المسلمين والمسيحيين ، وقد رأى أن العلاقة الطيبـة بالامبراطور فردريك تتيح الوصـول إلى حل وسط ، فسار فى المفاوضة وتمت اتفاقية يافا سـنة ١٢٢٩ وجعلت مدتها عشر سنوات ، وبمقتضاها سلم الملك الكامل لفردريك الثانى بيت المقـدس وبيت لحم والناصرة مع شريط يصل هذه البقاع بعكا التى كانت قد صارت عاصمة مملكة بيت المقدس ، منذ استولى صـلاح الدين على بيت المقدس التى كانت عاصمة المملكة من قبل ، وقد نص الصلح « على أن تبقى بيت المقدس على ما هى عليه من الخرائب

---

(٥٠) الصفـدى : الوافى بالوفيات : ذيل البا ب الثانى والسبعين .

(٥١) د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٩٩٦

ولا يُجَدَّدُ سورها ، وأن تكون سائرُ قُرى القدس للمسلمين لا حكم فيها للفرنج ، وأن الحرم بمــا احتواه من الصخرة والمسجد الأقصى يكون بأيدى المسلمين لا يدخله الفرنجة إلا للزيارة فقط ويتولاه قُوَّام من المسلمين ، ويقيمون فيها شعائر الإسلام من الأذان والصلاة » (٥٢) .

وبهذا بقيت عكا عاصمة المملكة إذ كانت أكثر حصانة وتسليحاً .

والنظرةُ السريعةُ ترى فى هذا الصلح خسارةً كبيرة ، وقد هاجمه المسلمون فى حينه وبكوا على ضياع بيت المقدس ، ودافع الكامل عن نفسه بقوله : « إنا لم نسمح للفرنج إلا بكنائس خربة ، والمسجدُ على حاله ، وشعارُ الإسلام قائم ، ووالى المسلمين متحكّم فى الأعمال والضّياع » (٥٣) ولم يَعُدَّ المسيحيون هذه الاتفاقية كسباً واضحاً ، وهاجمها كثيرون منهم ولسنا نستطيع أن نوافق على تسليم شبر من الأرض الإسلامية طوعاً .

---

(٥٢) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٢١٠ .
(٥٣) المرجع السـابق .

الجهــاد واستعادة بيت المقدس :

لم يقنع المسلمون بالأسباب التى أبداها الملك الكامل والتى سلم بمقتضاها بيت المقدس للصليبيين ، ولذلك لم يهدأ للمسلمين بال حتى استردوا بيت المقدس مرة أخرى بعــد معركة قوية عند غزة سنة ١٢٣٩ اشتركت فيها جيوش الصالح إسماعيل ملك دمشق وجيوش العادل ملك مصر ، وقد مزقت هذه القوة جيش الصليبيين وقتلت ألفاً وثمانمائة وأسرت عــدداً كبيراً ، وكان كثير من الزعماء والأمــراء بين القتلى والأسرى ولم يقتل من المسلمين غير عشرة وقــد استولت جيــوش الصالح إسماعيل على بيت المقــدس عقب هــذه الموقعة (٥٤) .

خيانة وجزاؤهــا :

استولى الصالح نجم الدين أيوب على السلطة بمصر من أخيه العادل عقب استعادة القدس ، وقد ثار الصالح إسماعيل لذلك خوفاً على ملكه من نجم الدين أيوب ، وارتكب هذا الرجل خيانة عظيمة ، إذ تحالف مع الصليبيين ضد نجم الدين وأعاد لهم بيت المقدس سنة ١٢٤٠ ، فاستهدف غضب

---

(٥٤) أبو الفدا : المختصر (حوادث سنة ٦٣٧) .

المسلمين وشنعوا عليه وأكثروا عليه السخط [٥٥] ، **وفى اللقاء الذى أعد للصدام بين الصليبيين والصالح إسماعيل من جانب وبين الجيوش المصرية من جانب آخر سنة ١٢٤٠ استدار جند الشـام المسلمون وانضموا إلى القوات المصرية ومالوا جميعاً على الفرنج فهزموهم عنـد غزة وأسروا منهم خلقاً لا يحصون [٥٦] .**

وعقب ذلك استولى المسلمون على بيت المقدس سنة ١٢٤٤ وعادت هذه الأمكنة المقدسة لرحاب المسلمين والإسلام ، ولم يُقَدَّر لجيش مسيحى أن يَقْرُب من هذه المدينة بعد ذلك حتى الحرب العالمية الأولى [٥٧] .

الحرب الصليبية السـابعة :

كان بطل هذه الحرب لويس التاسع ملك فرنسا الذى اصطحب معه إخوته وحاشيته واتجه إلى الشرق ، ولن نطيل الكلام عن هذه الحرب لأن الرجل اتجـه إلى مصر فاحتل دمياط ومنها سار إلى المنصورة وفى المنصورة دارت معارك

---

(٥٥) أبو الفدا : المختصر (حوادث سنة ٦٣٩) والسلوك للمقريزى جـ ١ ص ٣٠٤ .

(٥٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٢٣ .

(٥٧) د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٠٤٥

طاحنة استطاعت القوى المصرية خلالها أن تحقق أعظم انتصار على الصليبيين (٥٨) وقبضت على الملك وعلى أخويه شارل كونت آنجـــو وألفونس كونت بواتييه وجماعة كبيرة من باروناته وحاشيته ، وسيق الملك إلى دار ابن لقمان حيث سجن ، أما مجموعة الأسرى وعدتهم عشرة آلاف من الفرسان يضاف إليهم كبار البارونات وعددهم كبير فقد وضعوا فى خيمة كبيرة تحت حراســة مشددة ، ودارت المباحثات بعد ذلك للجلاء دون قيد ولا شرط على أن يدفع الصليبيون فدية كبيرة لتحرير الملك السجين • ودفع الملك الجزية وأفرج عنه ، وانسحب الجيش من دمياط خائباً (٥٩) وكان ذلك سنة ١٢٥٠م•

نهاية الحروب الصــليبية :

بعد اندحار جيش لويس التاسع كانت لا تزال هناك نقاط صغيرة يسيطر عليها الصليبيون بالشــام ، وكان على المماليك الذين آل لهم السلطان بعد الأيوبيين أن يستعيدوها ، وقد استطاع الظاهر بيبرس أن يستعيد أكثر هذه النقاط ، وسار قلاوون سيرته (٦٠) ، ثم جاء الأشرف خليل الذى قضى

---

(٥٨) د • مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع ص ١٢٨

(٥٩) المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ٢٣٦

(٦٠) Lone - Poole : Egypt in the Middle Ages p. 281.

وانظر « شهر رمضان وانتصارات المسلمين فيه » للؤلف

على ما تبقى للصليبيين من مواضع قدم ، وألقى بفلولهم فى البحر ، وتستحق هذه النهاية ذكر بعض التفاصيل :

قاد الأشرف خليل الجيش الكبير الذى كان أبوه قد أعده ، وزحف على عكا آخر مدينة حصينة بأيدى الصليبيين ، وقد تركز بها المنسحبون من الصليبيين من كل مكان ، ولذلك كانت منيعة وقوية ، وقد حاصرتها جيوش الأشرف خليل ، وألقت عليها وابلا من أسلحة الدمار ، ويقص شاهد عيان من المؤرخين صراع المسلمين حول عكا بقوله : حارب المسلمون مرة بالأبراج وأخرى بالمنجنيقات ، ورادفة بالدبابات ، وأحيانا بالكباش وآونة باللوالب ، وطوراً بالنقب وآنا بطم الخنادق وحينا بالتسرب أو نصب السلالم ، بالإضافة إلى الزحوف فى الليل والنهار من البر أو من فوق السفن [٦١] ، ولم تجد عكا بدأ من الخضوع القوة فاستسلمت ، ودخلها جنود المسلمين ودمروا حصونها وأسروا أكثر رجالها .

وباستسلام عكا استسلم دون مقاومة ما كان قد بقى لدى الصليبيين من مدن ، ودالت بذلك دولة الصليبيين فى الشام ، وانتهت فصول هذه الجولة من الصراع الصليبى .

---

(٦١) نقلا عن : الاسلام والحضارة العربية للاستاذ محمد كرد على جـ ١ ص ٣٠٣ .

بعد فيض من الدماء ، وإزهاق العديد من الأرواح ، وبعد تخريب الديار ، وتدمير العمران ، مما لا يمكن أن ينساه المسلمون ضد برابرة أوربا الذين ارتكبوا هذا العدوان باسم الصليب ، والصليب منه براء .



وإذا كانت الحروب الصليبية قد أصابت الوطن الإسلامى بالضرر البالغ ، فقد فتحت أذهان برابرة الغرب على ثقافة الشرق ، فاغترفوا منها ، مما جعل حياتهم تتبدل بشكل واسع عقب هذه الحروب ، وسنرى بعض اعترافات المفكرين الغربيين عن هذا التبدل عند كلامنا عن حركة الاستشراق بعد قليل .

٤ ــ الحركة الصليبية تتعاون مع المغول ضد المسلمين

لم يكن للصليبيين مبادئ ، وكانوا يريدون أن يحققوا النصر ضد المسلمين بأى ثمن ، ولو تحالفوا مع الشيطان أو أعداء البشرية كما يقولون ، ولذلك نجدهم يتجهون للتحالف مع المغول ، مع أن المغول كانوا فى القرن الثالث عشر قد اتجهوا للزحف تجاه أوربا ، فاستولوا على شبه جزيرة القرم وأخذوا موسكو وأحرقوها ، ثم استولوا على البلاد الروسية عاماً بعد عام حتى وقعت كلها تحت سلطانهم ، ومن روسيا امتد حكمهم إلى بولندا والمجر •

وكان خطر المغول بذلك يهدد أوربا كلها ، ولكن الصليبيين لم يفكروا إلا فى القضاء على المسلمين بأى طريق من الطرق ، وظهر لهم عجزهم عن مواجهة المسلمين وحدهم ، فأخذوا يبحثون عن شريك ، ويصف Kirk (٦٢) هذه المحاولة بقوله :

وعندما اكتسح التتار البلاد الإسلامية كان الصليبيون قد وصلوا إلى حالة من الضعف قربت نهايتهم • وقد حدث

A Short History of the Middle Ages p. 76. (٦٢)

عند ذلك ما تتمثل فيه عقلية الخطط السياسية الملتوية التدبير ، فقـــد تراءى لمدبرى السياسة المسيحية فى ذلك الوقت أن يبرموا مع أولئك القوم الوحشيين تحالفاً ضد المسلمين ، فأوفد البابا أنوسنت الرابع من قبله جون دبيانو John de Piano فى مهمة سياسية إلى منغوليا سنة ١٢٤٥ ، وبعد ذلك بثلاث سنوات أوفد لويس التاســع المعروف بالناسك ، وليـــم روبريكوى William of Rubruquis إلى بلادهم ولعمرى كيف يكون ناسكا من يستعين بالوثنيين ضد أتباع دين سماوى يعترفون بواحدانية الله ؟

ونعود إلى كلامنا فنقرر أنه عندما فشل مشروع التعاون بين الصليبيين والتتار ، رأى الصليبيون أن التتار وحدهم يوفون بالغرض ، فتركوا الميدان لهم ، وتوقف عون أوربـــا لجماعات الصليبيين .

وقد تَعَوَّد المؤرخون بعد الحديث عن الحروب الصليبية أن يتساءلوا : لمـــاذا فشلت أوربا فى هذه الحروب ؟ ولمـــاذا توقف ملوك أوربا عن مـــد يد العون إلى الأمراء الصليبيين وهم يهوون تحت أقدام المسلمين الواحد بعد الآخر ؟ ويجيب المؤرخون بأجوبة مختلفة حسب اتجاهات هـــؤلاء المؤرخين وظروفهم ، ولكن خطرت لى فكرة لم أر أحداً من المؤرخين

ذكرها ، وقد أوحت لى بهذه الفكرة تلك التواريخ المتسلسلة لكبار الأحداث التى وقعت فى العالم الإسلامى فى هــذه الأثناء ، فعندما وضعتُ هذه التواريخ أمامى ظهر أن النشاط الصليبى بدأ سنة ١٠٩٧ وامتد طيلة القرن الثانى عشر والثالث عشر وأن زحف التتار المدمر بدأ على العالم الإسلامى فى مطلع القرن الثالث عشر ، وأن هولاكو استولى على بغداد ســنة ١٢٥٨ م وأعمل الســيف فى رقاب المسلمين ، ودمر الحضارة الإسلامية فى عاصمــة الخلافة ، وفى نفس ذلك الوقت كانت تسقط الإمارات الصليبية فى أيدى المجاهدين المسلمين كما سبق القول .

ألا يمكن أن نفكر أن عنايــة الصليبيين الأولى كانت متجهة إلى القضاء على الإسلام وسحق المسلمين كما ظهر ذلك من أقوال الكثيرين منهم ، فلما رأوا أن زحف التتــار على العالم الإسلامى يحقق لهم هذه الغاية بنفس القسوة وروح التدمير التى يريدونها ، أغناهم ذلك عن مواصــلة بذل الجهد من جانبهم ، وقنعوا بهذا السيف الحاد الــذى تسلط على رقاب أعدائهم المسلمين ، وأسَالَ دماءَهم أنهاراً ، وأعمــل كل ضروب التخريب والتدمــير فى جميع نواحى الحضارة الإسلامية ؟

قد يوافق المؤرخون على أن يعدّوا هذا سبباً من الأسباب المهمة التى جعلت ملوك أوربا يتوانون عن مساعدة ذويهم ، وقد لا يوافقون ، ولكنى أميل إلى أن أعتبر هـذا سـبباً ذا بال من الأسباب الرئيسية التى أوقفت زحف الصليبيين على الشرق الأوسط ، فلما دخل التتار الإسلام وأصبحوا بعض أتباعه ، عادت أوربا تتحفز من جديد ، وتُعِدُّ العدة لاستئناف نشاطها الحربى على العالم الإسلامى فى حركة صليبية أخرى (٦٣) .

ومرة أخرى إن الذى يهمنا هنا أن الصليبيين تعاونوا مع المغول الذين كانوا وثنيِّين أو لادينيِّين ضد المسلمين الذين يؤمنون بالله ويتبعون شريعة الله ، فهل ترى من عجب أكثر من هذا ؟ وهل يُعْتَبَرُ الصليبيون مع هذا أتْباع دينٍ سماوى؟

---

(٦٣) المجتمع الاسلامى للمؤلف ص ٢١٢ — ٢١٣ الطبعة السابعة) .

٥ ـ الحركة الصليبية
تتعاون مع اليهود ضد المسلمين

بمناسبة الحديث عن تعاون الحركة الصليبية مع المغول ضد المسلمين ، نذكر صورة أخرى غريبة من هذا النوع ، هى تعاون الحركة الصليبية مع اليهود للإيقاع بالمسلمين .

ومن الواضح للذين يدرسون تاريخ الديانات أن هناك صراعاً مريرا بين اليهود والمسيحيين ، وقد بدأ هذا الصراع بمجرد ظهور المسيحية ، وعاش بعد ذلك حتى رأيناه فى العصر الحديث .

ولعل من أخطر ما يوضح سوء العلاقة فى العصر المسيحى المبكر تلك الاعترافات التى سجلها « شاول » الذى سمى (بولس) والذى يذكر Berry [٦٤] أنه واضع المسيحية الحالية ، يقول شاول :

سمعتم بمسيرتى قبلا فى الديانة اليهودية ، إنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ، وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثير من أترابى فى جنسى ، إذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى [٦٥] .

---

(٦٤) Religions of the World p. 59.

(٦٥) غلاطية ١ : ١٣ ـ ١٤

ويقول لوقا عنه : وكان شاول راضيا بقتل المسيحيين ، وكان يسطو على الكنيسة ، ويدخل البيوت ، ويجر رجالا ونساء ، ويسلمهم إلى السجن ، ولم يزل ينفث تهديداً وقتلا على تلاميذ الرب (٦٦) .

ذلك هو بولس ، وهو نموذج واضح للقسوة التى عاناها الجيل الأول من المسيحيين ، والتى كان اليهود مصدرها ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما يذكره كتاب الأناجيل عن نهاية المسيح عليه السلام ، وعما لاقاه من كهنة اليهود من ظلم وعنف ، ندرك أن الصلة بين اليهود والمسيحيين كانت حادة ، وكان الحقد يسيطر عليها ، وعندما كان العرب المسلمون يقتحمون أسبانيا وضع اليهود كل خبراتهم وكل ما يمتلكون فى خدمة الزحف الإسلامى ، ليتخلصوا من سلطة المسيحيين وعسفهم ، فقد اتضح لهم من أحداث التاريخ أن اليهودى يمكن أن يعيش فى ظل الإسلام ، ولكنه لا يستطيع أن ينعم بالراحة والأمن فى ظل المسيحيين .

وكان تصرف اليهود ضد المسيحيين بأسبانيا صورة من صور خياناتهم للمسيحيين في أوربا ، ويقرر علماء الغرب

---

(٦٦) أعمال الرسل ٧ : ٦٠ و ٨ : ٣

أن حركات الهدم التى اجتاحت أوربا واشتعلت فيها مدى ثلاثة قرون لم تكن سوى أثر للجهود السرية التى يقال إن اليهود كانوا يبذلونها منذ ظهور المسيحية والإسلام فى سبيل هدمهما انتقاما لدينهم (٦٧) .

وعرف عن اليهـود إنشـاء منظمات للإرهاب ، قامت باغتيال عدد كبير من المسيحيين ، كما ارتكبت منظمات يهودية أخرى الكثير من الخطف والقهر والتدمير ، وبخاصة فى ألمانيا .

وتذكر بعض المراجع أن من التقاليد اليهـودية خطف الأطفال المسيحيين وذبحهم ووضع دمائهم على الفطائر فى بعض الأعياد .

وقد شاهدنا فى أوربا كراهية المسيحيين لليهود ، ورفض الكثيرين من أصحاب المساكن أن يؤجروها لإنسان يهودى ، وكان لنا زميل كريم اسمه « يعقوب » وكان يكره أن نناديه باسمه ، ويفضل أن نناديه باسم أسرته ، مخافة أن يظن الناس أنه يهودى فيمسه اضطهاد الأوربيين واشمئزازهم .

تلك خلاصـة سريعـة للعلاقات السيئة بين اليهـود

---

(٦٧) Louis Daste : اليهود والجمعيات السرية ص ٧١

والمسيحيين ، وليست هذه العلاقات السيئة بعيدة عن محيط المثقفين وبالباحثين • ولكن الذى يدعو للدهشة أن الصليبيين فى سبيل التغلب على المسلمين وقهرهم تناسـوا هذا التاريخ المرير مع اليهود ، وراحوا يتعاونون معهم للكيد للمسلمين ، وذلك بالضبط كما حدث عندما اتجه الصليبيون للتعاون مع المغول لضرب المسلمين ، ولكن الأمر مع الصليبيين أشـد غرابة لأن المغول لم يضطهدوا الصليبيين على مر التـاريخ كما فعل اليهـود •

إن انضمام الصليبيين لليهود من أجل ضرب المسلمين يعتبر حادثا خطيرا فى تاريخ الفكر الدينى ، وقد مرت القرون على المسيحيين وهم يعتقدون أن اليهود قتلوا السيد المسيح ويكرهونهم لذلك ، ولكن البابا فى العصر الحديث أصـدر قراراً بتبرئة اليهود فى العصر الحالى من دم المسيح ، وفتح بذلك بابا من الود والشـوق بين أعداء الأمس ليستطيع هؤلاء وأولئك أن يتعاونوا ضد المسلمين •

ومن مظاهر ذلك الود المصطنع تلك الزيارة التى قام بها البابا يوحنا بولس الثانى للكنيس اليهودى فى روما فى مطلع عام ١٩٨٦ وقبلاته للحاخام اليهودى •

وقد أثارت هذه الزيارة وتلك القبلات كثيرا من الغيظ عند المسيحيين الشرقيين الذين دهشوا لهذا التصرف من البابا وتساءلوا : هل من حق البابا أن يلغى ١٩٨٦ عاما من الجرائم اليهودية المتصلة ضد المسيح والمسيحية والكنيسة ؟

والإجابة لدينا واضحة هى أن الصليبيين مستعدون للتعاون مع الشيطان لقهر المسلمين ، والله المسئول أن يرد كيدهم ٠

وهكذا لعب الصليب دورا فى تشجيع اليهود ولإنزال أكبر صنوف الضرر بالمسلمين ، وغطّى الصليبُ على المُثُل والقِيَم ، وتناسَى الصليبُ ما أوقعه بهم اليهودُ من نوازلَ، من أجل تحقيق الهدف المشترك وهو الايقاع بالمسلمين ٠

ومن صور التعاون بين الحركة الصليبية وبين اليهود ، موقف أمريكا العجيب فى مجلس الأمن فهى لا تحس بخجل عندما تستعمل (الفيتو) عدة مرات من أجل أن تبقى إسرائيل عدوانية على العرب وعلى المسلمين ، ومن أجل حمايتها من اى قرار يصدر ضدها ، وكنموذج واحد لذلك نذكر أنه فى اواخر شهر ينـاير ١٩٨٦ استخدمت الولايات المتحدة حق (الفيتو) ضد مشروع قانون لمجلس الأمن يدين بشـدة

الانتهاكات الإسرائيلية الأخيرة لحركة المسـجد الأقصى ؛ ويرفض مزاعم إسرائيل باعتبار مدينة القدس عاصمة لها ، وقد وافق على مشروع القانون ١٣ دولة من بينها بريطانيا وفرنسا ، والعجيب أنه مع رفض أمريكا هذا القرار ذكرت ممثلة أمريكا أن رأى الولايات المتحدة من وضـع القدس لا يزال كما هو لم يتغير •

ولنا فيما بعد دراسة عن جهد الحركة الصليبية فى خلق إسرائيل •

٦ — الحركة الصليبية

تتعاون مع الإلحاد الروسى ضد المسلين

يقف العالم فى معسكرين خطيرين هما الشرق والغرب ، وكل منهما ينفق البليارات لحشد أدوات التدمير خوفا من المعسكر الآخر ، ولا يكاد يوجد طريق للتوفيق أو للسلام ، وتقف الولايات المتحدة متزعمة دول الغرب وناشرة أجهزة العدوان ضد الاتحاد السوفيتى ، ويقوم الاتحاد السوفيتى بوضع صواريخه المدمرة فى حالة استعداد خطير •

وربما قامت محاولات كثيرة لتهدئة الأحوال ، ولكن كل هذه المحاولات كانت تبوء بالفشل ، فالرأسمالية الأمريكية بعيدة كل البعد عن الشيوعية السوفيتية •

ولكن مما يدعو للدهشة أنه وجدت نقطة التقاء بين العدوين اللدودين ، انها العداء للمسلمين ، فقد كتب ريتشارد نيكسون الرئيس السابق للولايات المتحدة بحثا فى مجلة (Foreign Affairs 1985) يذكر فيه ان روسيا والولايات المتحدة يجب أن تَمُدَّ كلٌّ منهما يدها للأخرى فى تعاون وثيق لضرب الصحوة الإسلامية •

وفيما يلى كلماته التى سبق أن أوردناها :

Russia and America should join hands to fight the rising tide of Islamic Fundamentalism.

ياالله ، هل الاتجاه للتعاون بين دول العالم الإسلامى ، ذلك التعـاون الذى لا يزال بعيـد الثمار ، أفزع الغرب والشرق جميعا ؟

إنها مفخرة عظيمة للمسلمين ، وهى فى الوقت نفسـه نذير خطر أن يدرك المسلمون أن المعسكرين إن اختلفا فى كل شىء فهما يتفقان فى موقف العداء بالنسبة للمسلمين .

٧ ـ الحركة الصليبية
انبثق عنها الاستشراق ومفاسده

الاستشراق هو بوجه عام اتجاه الغربيين للعلوم الإسلامية واللغة العربية بالدراسة والبحث ، والمستشرق هو العالم الغربى الذى تمكّن من هذه الدراسات .

ثم اتسع استعمال هذا الاصطلاح فأصبح يشمل اهتمام غير المسلمين أياً كانت جنسياتهم بالعلوم الإسلامية ، وبهذا يدخل ضمن المستشرقين مجموعة الصينيين أو الهنود وأمثالهم إذا تمكنوا من هذه الدراسات .

وفكرةُ الاستشراق بعيدةُ الجذورِ فى التاريخ ، ويتّجه الكُتّاب إلى ربطها بعصر الرسالة نفسها ، فبعد الهجرة النبوية للمدينة اصطدم المسلمون باليهود فى يثرب ، ولم يكن اليهود يستطيعون مواجهة الزحف الإسلامى الجارف ، ومن هنا قبلوا أن تعقد بينهم وبين المسلمين معاهدة تعاون تقرر الحرية الدينية للجميع كما تلزم سكان المدينة من مسلمين وغيرهم أن يتعاونوا سياسياً واقتصادياً ، وأن يردوا متساندين أى اعتداء قد يوجّه للمدينة ، وتُقَرِّرُ هذه المعاهدة كذلك أن يكون الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، الحاكم الأعلى لكل سكان

المدينة ، وأن تُعْرَضَ عليه القضايا وصور الخلاف بين طائفة وأخرى من الطوائف التى قبلت هذه المعاهدة ليفصل فيها .

ولكن يبدو أن اليهود لم يكونوا مخلصين لهذه المعاهدة ولم يدخلوا فى هـذا العهد إلا ريثما يجدون لأنفسهم طريقاً آخر ، فقد أحسّوا منذ اللحظة الأولى أن الدين الجديد ينتزع منهم القيادة التى طالمـا فخروا بها ، وهى الصلة بالله عن طريق الوحى ، وهى كذلك الافتخار بكتاب مقدس من عند الله .

وزاد حقد اليهود حينما رأوا دين محمد ينمـو نمواً واسعاً فى أقصر مدة عرفها التاريخ ، فاليهود يعرفون كيف تعثرت اليهودية ، وكيف حوربت المسيحية عدة قرون ، ولكن انتصار محمد بدأ يتحقق فى حياته ، وبعد سنين قليلة من بدء دعوته وبخاصة عندما تمت الهجرة وظهر الطريق ممهداً للنجاح الكامل .

وعقد اليهود العزم على المقاومة ، واتّخذت مقاومتهم للإسلام جانب الصراع الفكرى تاركين الصراع العسكرى لقريش ، فبدءوا بالجدل الذى قصدوا به أن يشككوا الناس ويردوا المسلمين عن الإسلام ، وأثاروا لذلك مسائل كالقضاء والقدر وخلق الأفعال ، وقد حكى القرآن ذلك الموقف بقوله

« ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره » (٦٨) .

ومن التشكيك أيضا تلك القصة التى نزلت فيها الآية الكريمة :

« وقالت طائفة من أهل الكتاب : آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » (٦٩) ، ويذكر المفسرون فى سبب نزولها أنه قد تواطأ اثنا عشر حبراً من أحبار اليهود ، فقال بعضهم لبعض : ادخلوا فى دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ، ثم أعلنوا كفركم آخر النهار وقولوا : إنا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا ، فوجدنا أن محمداً ليس هو المبعوث الذى كنا ننتظره ، وظهر لنا كذبه . فإذا فعلتم ذلك شك أصحاب محمد فى دينه واتهموه ، وقالوا عنا إننا أهل الكتاب ، واعلم بذلك .

ولعل هذه الشبهة تجعل المسلمين يشكون فى دينهم فيرجعون عنه .

---

(٦٨) البقرة ١٠٩

(٦٩) آل عمران ٧٣

ولما دبروا هذه الحيلة ، أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها ، فلم تتمّ لهم ، ولم يحصل لها أثر فى قلوب المؤمنين [٧٠] .

ويعتبر هذا الصراع الفكرى الذى قام به اليهود مطلع حركة الاستشراق التى اختفت بعد ذلك لتظهر فيما بعد أقوى وأشد .

الحروب الصليبية وحركة الاستشراق :

أما ظهور حركة الاستشراق بأهدافها ونشاطها فيرجع إلى الحروب الصليبية التى لم تحقق للذين قاموا بها أهدافهم ، فرأى هؤلاء بعد أن فشل الصراع العسكرى فى تحقيق آمالهم أن يلجأوا للصراع الفكرى ، لعلهم يستطيعون عن طريقه أن ينالوا بعض ما لدى المسلمين من ثقافتهم وأفكارهم .

ويصور لنا الكتاب الغربيون مطلع حركة الاستشراق ووسائلها وأهدافها أدق تصوير وفيما يلى مقتبسات من كلامهم .

---

(٧٠) الجمل على الجلالين ج ١ ص ٢٨٧

يقول Kirk (٧١) : إن الحروب الصليبية فتحت أذهان الغربيين إلى مستوى الحضارة فى الشرق الأوسط ؛ ذلك المستوى الذى كان يفوق بكثير حضارة الغرب ، ومع تفتيح أذهان الغربيين اتجه هؤلاء إلى غزو الشرق فكرياً بعد أن عجزوا عن غزوه عسكرياً .

ويقول Emerton (٧٢) : « إ الحروب الصليبية خلقت عند الغربيين سَعَـةَ الخيال وقوّة الحساسية ، وذلك بسبب البعد عن الوطن والتحرر الذى حصل عليه العبيد لأول مرة بسبب هذه الحروب ، وقد وجـد الصليبيون فى المسلمين إنسانية عالية ، وشرفاً ووفاء بالوعد ، وغير هذه من الصفات التى تساعد على تكوين الناحية الإنسانية فى الأوربيين ، ولم تكن هذه الناحية من قبل ذات بال عندهم .

« وعندما عاد الصليبيون إلى أوربا لم يعودوا إلى مباشرة حياتهم على النحو الذى كانوا عليه قبل الحركـة الصليبية بل عادوا بأخلاقٍ جديدة وثقافةٍ جديدة ، وتفكير جديد ، وألِفُوا التجوّل والرحلات ، ولم تعد حدود الإقطاع تقف حائلا أمامهم .

(٧١) Kirk Op. Cit. p. 71.

(٧٢) Emerton Op. Cit. p. 393.

ويختتم Emerton حديثه عن الحروب الصليبية ونتائجها بقوله : « إن حياة أوربا اغتنت خلال الحروب الصليبية لأنها اقتبست من حياة المسلمين ألواناً من الفكر والثقافة مما جعل أفق الأوربيين يتسع بسبب ارتباطهم طيلة عدة سنين ببلاد الشرق ذات الإلهام والأساطير ، وكان ذلك دافعاً للكثيرين من الغربيين ليواصلوا صلتهم بالشرق عن طريق العلم والمعرفة حتى أصبحوا مستشرقين » .

وإذا كان الغربيون قد اقتبسوا الطب والرياضة والفلك والموسيقى والعمران من الأندلس ومن صقلية ، فإنهم اقتبسوا من الشرق خلال الحروب الصليبية ألواناً أخرى من المعارف كانت دعامة الاستشراق ، تلك هى الدراسات المتصلة بالإسلام بوجه خاص من علوم الفقه والتاريخ والحضارة بجوانبها المختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها مما جعل الاستشراق يرتبط بالحروب الصليبية أكثر من ارتباطه بالحضارة الإسلامية التجريبيَّة (الطب والرياضة ..) التى اقْتُبِسَت من الأندلس .

ويقول الدكتور فيليب حتى : إن الفرنجة تأثروا كثيراً بجيرانهم المسلمين فى سوريا ، وكان التأثر مرتبطاً باللباس والطعام والشراب ، فقد أقلعوا عن لباسهم الأوربى وتعلقوا بالأزياء الوطنية التى كانت أدعى إلى الراحة ، واكتسبوا

الكثير من الذوق الشرقى فى الأطعمة والأشربة ، وبوجه خاص ما يتعلق بالسكر والتوابل ، وآثروا لسكناهم البيوت الشرقية الطراز بما فيها من إيوانات واسعة ومياه جارية [٧٣] .

ويقول Henne - Am - Rhyne [٧٤] إن تطورات العصور الوسطى فى شتى النواحى بأوربا تنسب إلى الحروب الصليبية ، ومن أهم هذه التطورات ما حصل فى ميدان الثقافة حيث ظهر كبار مفكرينا فى الفلسفة بعد هذه الحروب ، وقد تلونت الفلسفة بلون العلم واتسع نطاق دراسة اللغات القديمة وازدادت خصوبتها واكتسبت علوم التاريخ والجغرافيا نشاطاً جديداً .

ويوضح Oman [٧٥] ارتباط الاستشراق بالحروب الصليبية بقوله : إن هذه الحروب وضعت نواة الاستشراق ، إذ اتجه الرهبان لدراسة اللغة العربية والفكر الإسلامى لمعرفة اتجاهات المسلمين فى مختلف الشئون ، وقد أسست كلية للرهبان سنة ١٢٧٦ فى ميراما لدراسة اللغة العربية

---

(٧٣) Philip Hitti : History of Syria 2 : 221.

(٧٤) Henne - Am - Rhyne : General History pp. 398-500.

(٧٥) Oman : The Art of war in the Middle Ages p. 122.

والعلوم الإسلامية ، كما أنشئت الكراسى للغات الشرقية فى باريس ولوفان •

ولجأ المسيحيون للاعتماد على الإرساليات المسيحية للتبشير بين المسلمين بعد أن ثبت فشلهم فى المعارك الحربية ، ومن مؤسساتهم لنجاح التبشير مدارس الفرنسيسكان والدومنيكان التى أنشئت فى أوائل القرن الثالث عشر فى سوريا ، وتنسب الأولى إلى القديس فرنسيس ، والثانية إلى القديس دومنيك ، وكان المبشرُ يُعَدُّ لهذه المهمة قبل أن يرسل لمباشرتها ، ومن أهم وسائل إعداده تعليمه اللغة العربية وشيئاً من الدراسات الإسلامية وذلك هو الدستور الذى لا يزال سائداً حتى الآن (٧٦) •

واتخذ الصليبيون المدارس والمستشفيات وسائل لنشر المسيحية ، وكثرت هذه المدارس من وقت لآخر ، ولا يكاد — للأسف — يوجد قطر إسلامى الآن ليست به مدارس التبشير ، وإن اتخذت المظهر العادى والمنهج الرسمى فى دراستها ، ولكن التبشير يختفى عند الرسميات ويظهر فى الواقع •

---

(٧٦) Philip Hitti : History of Syria 2 b 63.

بل اتخذ الصليبيون طريقا آخر أكثر خطورة ، فقد فتحوا الملاجىء لاستقبال اليتامى واللقطاء ، وفى هذه الملاجىء يتم تنصير الكثيرين من الأطفال ، فعندما ينمو الطفل يجد نفسه لا يعرف إلا المسيحية .

اليهود والاستشراق :

لقد ذكرنا فى مطلع هذه الدراسة أن اليهود بكروا فى الاتجاه نحو الصراع الفكرى وخلق المشكلات للتشكيك والإثارة فى العالم الإسلامى ، وقد سكت صوتهم بعد حين ، ولكنهم كانوا يتربصون الفرص ليعودوا سيرتهم الأولى ، فلما بدأ الاستشراق وظهر اتجاه المسيحيين إلى دراسة العلوم الإسلامية محاولين أو يؤولوها تأويلا ينال من المسلمين ومن تاريخهم وحضارتهم ، لما بدأ ذلك كان هذا فرصة لليهود ليدخلوا هذا الميدان من جديد ، وليصلوا ماضيهم بحاضرهم ، فانغمسوا فى تيار الاستشراق ، وأصبحوا أهم القمم بين المستشرقين ، ولم يستطع أكثر هؤلاء للأسف أن ينسوا عواطفهم وهم يبحثون فى الدراسات الإسلامية فاستعمل بعضهم أقصى الألفاظ وهو يتحدث عن الدين الإسلامى وعن الرسول محمد صلوات الله عليه ، وهاجموا الإسلام فى جميع مسائله تقريباً ، وكانت دراسة بعضهم سلسلة من النقد

والقذف والهجاء ، وجميع الكتاب المسلمين يدركون ذلك مما جعل الدكتور عبد الحليم النجار يقول فى مقدمـــة ترجمته لكتاب جولد زيهر (مذاهب التفسير الإسلامى) ما يلى :

« ويشتمل الكتاب على بعض النزعات الدينية وهى نزعات لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب المستشرقين لا سيما ما يتصل من الدين بسبب أو نسب ، يمليها عليهم إلف لازم ، أو هوى متبع أو قصـــد جائر » •

وإذا كان المستشرقون اليهود قد عمدوا إلى التشكيك والإثارة ، فإن كثيرين من المستشرقين المسيحيين مهدوا السبيل للاستعمار الغربى ليعود لبلاد الشرق ، وعندما نجح الغرب فى استعمار العالم الإسلامى ، لعب المستشرقون دوراً من وراء حجاب لإفساد المناهج الإسلامية ولتشجيع النعرات الطائفية التى تفرّق الكلمة وتكْثِرُ الانقسامات •

وكلمـــة حق ينبغى أن تقـــال ، هى أنه لا يدخل كل المشرقين ضمن هـــذا الإطار الذى وصفناه فهنـــاك مـــن المستشرقين من أخلصوا لعملهم ودخلوا الدراسات الإسلامية دخول الباحث المنصف ، وأكثر هؤلاء أبدوا إعجابهم بالإسلام، ومنهم من اعتنق هذا الدين ، ولكن ذلك إن كان قد صدق مع بعض المسيحيين فإنه لم يَصْدُق على أحد من اليهود •

نماذج سريعة من اتجاهات المستشرقين :

بذل المستشرقون جهوداً كبيرة لخلق مشكلات فى الدراسات الإسلامية تثير الشكوك كما قلنا من قبل ، وتحول دون التعمق فى الإسلام ، وبخاصة للمسلمين الذين ليست لهم فرصة لدراسة الإسلام دراسة دقيقة ، وفيما يلى نعرض بعض الموضوعات التى أثارها المنحرفون من المستشرقين ، وقد قام المسلمون بتحليلها ، والرد عليها ، وبيان وجه الحق فيها ، وفيما يلى بعض هذه النماذج :

- الوثنية فى الإسلام .
- القرآن من صنع محمد .
- ضعف المسلمين سببه العقائد الإسلامية كالقضاء والقدر .
- انتشار الإسلام بالقوة .
- تدمير الأسرة بواسطة الطلاق وتعدد الزوجات .
- إثارة الخلافات العقائدية وتشجيع الفرق الإسلامية بعضها ضد بعض .
- الإسرائيليات فى تفسير القرآن الكريم .

— وضع بعض الأحــاديث •

— نظرية النشــوء والارتقاء •

— خلق بعض الفرق التى تعادى المسلمين ولا تتفق مع الفكر الإسلامى كالقاديانية والبهائية والأحمدية •

— نشر جمعيات باسم النشــاط الاجتماعى وهى فى الحقيقة ذات عناصر صهيونية تبشيرية كالمــاسونية وأندية الروتارى والليونز وأمثالها (٧٧) •

ومرة أخرى نقرر أن المسلمين تصدوا لهذه الموضوعات وأبرزوا جانب الانحراف فيها وقد عرضتُ لها فى موسوعة التاريخ الإسلامى وسلسلة مقارنة الأديان بالدراسة والتفنيد •

---

(٧٧) مقارنة الأديان والاستشراق للمؤلف ص ٣٥٩ ومابعدها

٨ — الحركة الصليبية

تتخذ التبشير وسيلة للزحف على العالم الإسلامى

تنشط الحركة الصليبية نشاطا مسعورا فيما يسمى « التبشير » ، وتتخذ الأساس الذى عَرفَه علماء مقارنة الأديان وسيلة للنصر فى هذا المجال ، وهو أن الناس الذين يعيشون مواجهين لقوى الطبيعة أكثر قبولا للدين من أولئك الذين لا يواجهون قوى الطبيعة ، فالذين يعيشون فى الغابات مهدَّدين بالحيوانات المفترسة أو الزواحف القاتلة ، والفيضان أو الجفاف ، والذين يعيشون فى الصحراء حيث العواصف والآفات كل هؤلاء يهتفون دائما : (يارب) لحمايتهم من الأضرار . وقد اتخذت الحركة الصليبية طريقها إلى هؤلاء ، ووجهت اتجاهاتهم الدينية البدائية إلى المسيحية ، وقدمت لهم « الرب » الذى يهتفون به ، وانتهزت الحركة الصليبية حالات البؤس التى تنتشر بين هؤلاء ، فاستغلت ذلك لخلق صلة بين المبشرين وبين هؤلاء الناس عن طريق تقديم بعض المساعدات المادية ، وعن طريق فتح مدارس لتعليم الصغار ، وفتح مستشفيات لعلاج المرضى .

وعلى هذا يمكن للقارىء أن يلاحظ زحف التبشير فى

غابات إندونيسيا ووســط أفريقيا ، وفى الصحراء الافريقية وفى الصحراء الهندية .

والحركة الصليبية لا ترحم ولا تعطى فرصة للتفكير ، فالطفل الذى يدخل المدرسة التبشيرية عليه أن يرتل التراتيل المسيحية كل صباح ومساء ، وإذا فرض أنه امتنع عن ذلك لنصيحة وجهت إليه من ولى أمره ، فإن هذا الطفل سرعان ما يدفع للطريق ويشطب اسمه من المدرسة ، وكذلك يُفْعَل بالمريض الذى لا يتابع التراتيل والصلوات ، فإن المستشفيات التبشيرية لا تعالج إلا من استجاب لدعوة التبشير .

وقد عَرَفت دعوة التبشير قيــادة نشيطة فى العصر الحديث (١٩٨٦) ممثلة فى البابا يوحنا بولس الثانى ، فهو ينتقلُ دون انقطاع من مكانٍ إلى مكانٍ ، وهو لا يبذل جهداً فى وطنه (بولندا) فالشيوعية لا تسمح بالتبشير الدينى ، ولكنه يطوف العالم وبخاصة المناطق التى أشرنا اليها ، وفى مطلع سنة ١٩٨٦ كانت طوفته بالهند ، ولكن الهنود ثاروا عليه ، وواجه عاصفة من الاحتجاج استلزمت أن تقدم الدولة لــه حراسة مشددة ، وهتف الهنود بأصوات عالية بأنهم يرفضون محاولته إشاعةَ المسيحية فى رحاب الهند ، واضطر البابا أن يعلن أنه لم يذهب للهند مبشِّراً ، وإنما ذهب زائرا

وبناء على دعوة من الجالية المسيحية بالهند ، وهو عذر لم يكن مقبولا ، فليس فى الهند جالية مسيحية تستدعى أن يرحل البابا لزيارتها •

الانتقال من التبعية السياسية للتبعية الدينية !!

ويقول المطلعون أن جولة البابا فى الهند كانت الجولة رقم ٢٩ مما يدل على نشاط مسعور لهذا البابا يتحدى به شعور الذين لا يرحبون بدعوة التبشير ، والذين لا يريدون أن ينتقلوا من التبعية السياسية لأوربا إلى التبعية الدينية لأوربا ، لقد ذاقت الشعوب الشرقية حياة مرة إبان الاستعمار الأوربى المسيحى ، ولا تريد هذه الشعوب أن تظل تابعة لهؤلاء ، فقد بلغت هذه الشعوب الرشد ، وهى لذلك تستطيع أن تختار لنفسها فى مختلف الميادين •

وقد نالت إفريقية حظاً واسعا من النشاط التبشيرى لهذا البابا ، فقد زارها ثلاث مرات خلال مدة سلطاته وهى خمس سنوات ، وصرح بأن الهدف من تكرار زياراته لإفريقية هو مقاومة المد الإسلامى بالقارة ، فماذا كان رد الفعل لدى شيخ الأزهر ولدى علماء المسلمين ؟

هذا التساؤل يثيره الأستاذ جلال الدين الحمامصى فى مقاله بتاريخ ١٨/٥/١٩٨٥ ولكن أحدا لم يحرك ساكنا ، فإلى متى هذا الموقف والبابا يدق أبوابنا علينا ، وفيما يلى مقتطفات من كلمة الأستاذ الحمامصى لعل تكرار إذاعتها يساعد على تحرك الذين استطابوا الحياة فى الترف والهواء المكيّف والفيلات الفاخرة :

« أنهى قداسة البابا يوحنا بولس الثانى أخيرا جولته الثالثة فى افريقيا خلال خمسة أعوام .

« وقداسة البابا هو أنشط الذين اعتلوا كرسى البابوية ، فهو يقوم برحلات متعددة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وتلقى رحلاته من صحف العالم الغربى تغطيات واسعة وابرازا صريحا لأهدافها .

« على أنه لأول مرة تكشف الصحف الأمريكية أن هدف قداسة البابا من زيارته الحالية لافريقيا هو حث رجال الكنيسة فى القارة السوداء على مقاومة المد الإسلامى فيها .

« ولا لوم على قداسة البابا فى توجيهاته لرجال كنيسته .

« ولكن من حقنا القول بأن كل تحرك من جانب البابا وخاصة اذا كانت اهدافه وقف المد الإسلامى يجب أن

يواجه بتحرك مضاد ليس فيه خصومة ولا عداوة ، بل فيـــه « منازلة » بالرأى والحجة والموعظة الحسنة .

« وكلامنا اليوم نوجهه إلى دعاة الإسلام فى مصر وغير مصر وفى القارة الافريقية ونسأل : إلى متى تسكتون وقـــد اندفع البابا إلى حيث تعيشون ليقاوم الإســـلام برجاله وبأفكاره ؟

« ولا نريد لأسئلتنا إجابة بالكلام ، فذلك عبث ، وإنما نريد يقظة ، وسياحة فكرية ، لتنشيط المـــد الإســـلامى ، وإيقاف المـــد الكاثوليكى الذى يحمل الاستعمار فى طياته .

« إن شعوب العالم الثالث ترفض الانتقال من التبعية السياسية الى التبعية الدينية وكفى هذه الشعوب ما عانت من الغرب واتجاهاته » .

ومرة أخرى نتَّجه بهذا الكلام إلى شيخ الأزهر ووزير الأوقاف ورجال الدعوة الإسلامية ، فالذى يأخذ المـــال والمناصب العليا باسم الإسلام لابدَّ أن يعطى للإسلام ، وسيخرج هذا الكتاب للضوء هذا العام (١٩٨٦) إن شـــاء الله ، وسأضعه فى أيدى هؤلاء عقب صدوره ، وذلك بعض دورى فى خدمة الإسلام والمسلمين .

٩ ــ الحركة الصــليبية
ضــد مسلمى أســبانيا

كان المسلمون قد استولوا على الشمال الإفريقى كله وطردوا منه الرومان ، ولكن الأسبان كانوا قد تورطوا فى النضال الذى حدث بين المسلمين والرومان ، إذ قدّم الأسبان عوناً كبيراً للرومان خلال هذه الحروب ، واتخذت هذه المعونة صبغة الحروب الدينية ، فقد كان أفرادها يحملون الصلبان وهم يندفعون للمعركة •

ثم إن الأسبان كان لهم جيوب فى الشمال الإفريقى مثل « سبتة » و « طنجة » استولى عليهــا المسلمون كذلك ، وكل ذلك فتح الباب للزحف الإسلامى على أسبانيا (٧٨) •

وســعد الأسبان فى ظل الإســلام لأسباب يوردهــا Stanley Lone - Poole (٧٩) بقوله :

ــ يجب ألا يخطرَ ببالِ أحد أن العربِ عاثوا فى البلاد

---

(٧٨) ابن قتيبة : الامامة والسياسة جـ ٢ ص ٦٨
(٧٩) The Arabs in Spain p. 38-40

أو خربوها بصنوف الإرهاق والظلم كما فعل قطعان المتوحشين قبلهم ، فإن آلأندلس لم تحكم فى عهد من عهودها بسماحة وعدل وحكمة كما حكمت فى عهد العرب الفاتحين ٠

— ولم تكن ميول الأسبان إلى المسيحية عميقة ، فقد فرضها قسطنطين عليهم فرضاً ، وكان كثيرون منهم يحنّون للوثنية ، على أنهم فى الواقع لم يكونوا فى حاجة إلى دين جديد ، بل كانوا فى حاجة إلى العيش فى أمن ورغد ، وقد منحهم المسلمون هذين المطلبين ٠

— وسمح المسلمون للأسبان أن يحتفظوا بشرائعهم وقضاتهم ، وعيّن لهم حكام للأقاليم من أنفسهم ، يديرون المقاطعات ، ويجمعون الضرائب ، ويفصلون فيما شجر بينهم من خلاف ، وكان التسامح الدينى سائداً ، فلم يدع للأسبان سبباً للشكوى ٠

— ودفع النصارى واليهود الجزية وهى مقدار ضئيل يتدرج بحسب منزلة المطالَبين بها ، فهى تبدأ من اثنى عشر درهماً إلى ثمانية وأربعين ، وقد قسمت اثنى عشر قسطاً يجبى قسط كل شهر للتخفيف عن الرعية ، أما ضريبة الأراضى فقد كانت تتفاوت حسب جودة الأرض ، وقد فرضت بعدل

ومساواة على النصارى واليهود والمسلمين جميعاً ، ولم تمتد يد المسلمين إلى أملاك الأهلين التى كانت لهم قبل الفتح فيما عدا الإقطاعات التى كان يملكها الأمراء والرهبان ، وظفر السكان الأصليون بحق لم يكن لهم أيام القوط وهو نقل ملكيتهم لسواهم عندما يشاءون •

— أما فرح العبيد بما طرأ على نظام الحكم من التغير فقد كان عظيماً حقاً بعد أن لاقوا من ضروب العسف والقسوة من القوط والرومان ما تقشعر له الأبدان ، فتركهم المسلمون أحراراً يزرعون الأرض كما يشاءون على أن يؤدوا لهم نصيباً من الغلة ، أما عبيد المسيحيين فقد راحوا يتخلصون من الرق عن طريق إعلان إسلامهم •

— وكان الفتح العربى فى جملته نعمة ورخاء على الأندلسيين المحكومين لأنه أبطل ما كان يملكه كبار النبلاء ورجال الكنيسة من الضياع الواسعة وحولها ملكيات صغيرة ، ثم إن هذا الفتح رفع عبء الضرائب عن الطبقة الوسطى ، واكتفى منهم بالجزية على غير المسلمين ، ثم حث على تحرير العبيد ، أو على الأقل بالرفق بهم •

— وكان من أثر هذه المعاملة وهذا التسامح أن رضى

المسيحيون بالنظام الجديد واعترفوا فى صراحة أنهم يؤثرون حكم العرب على حكم الإفرنج أو القوط حتى أن القساوسة أنفسهم لم يكونوا شديدى التألم لحكم العرب كما يدل على ذلك التاريخ المنسوب إلى (إيزيدور الباجى) الراهب الصالح » .

ولكن الإحساس الصليبى اندفع يحارب المسلمين عندما امتدت فتوحاتهم جنوبى فرنسا ويقول غوستاف لوبون : كان زحف العرب جارفاً أرعب أصحاب الإقطاع بفرنسا ، فاستعانوا بالبطل شارل مارتل الذى واجه المسلمين بجيش صليبى كبير فى موقعة « بلاط الشهداء » التى سقط فيها القائدُ المسلمُ عبد الرحمن الغافقى وهزم جيشه سنة ١١٢ هـ **وكانت هذه الموقعة بدءاً لصراع صليبى طويل عاش ثمانية قرون اشتركت فيه كل أوربا .**

وعلى الرغم من الحضارة العظيمة التى ازدهرت بالأندلس ، والتى انتقلت من الأندلس إلى ربوع أوربا ، وعلى الرغم من أن القرون الطويلة التى أمضاها المسلمون بالأندلس صبغت المسلمين هناك بالدم الأسبانى .. على

الرغم من كل ذلك تجمع عزم صليبي اشتركت فيه أكثر دول أوربا ، وكان لا يعرف الإنسانية ، واندفع ينتهز الفرص حتى قضى على الإسلام بالأندلس ، وقضى بوحشية على المسلمين هنـــاك .

ولإعطاء بعض التفاصيل عن ذلك نذكر أنه فى القرن الخامس عشر كانت أعظم دول أسبانيا المسيحية هى مملكتى أراجون التى حكمها « فرديناند » ومملكة « كاستيليا » التى تحكمها الملكة « إيزابيلا » وقد تزوج الملك من الملكة فتوحدت المملكتان والقوتان . واتجهت المملكة الجديدة لحرب قاسية ضـــد مملكة غرناطة الإسلامية منتهزة خيانة حاكمها أبى عبد الله محمد ، وكان ذلك فى سنة ٨٩٧ هـ — ١٤٩٢ م وانتهى بذلك ملك المسلمين بالأندلس .

مسلمو الأندلس بعد سقوط غرناطة :

وكان مـــن شروط التسليم أن تظل للمسلمين حريتهم الدينية وأملاكهم على أن يصبحوا من رعايا الحكومة الأسبانية المسيحية ، وقد وفت الحكومة الأسبانية بهذا الوعد عدداً من السنين يصل إلى أصـــابع اليدين ، ثم بدأ الاضطهاد المرير يحث عليه رجال الدين ، وينفذه رجال السياسة ، ووصل هذا

الاضطهاد إلى القسر على التنصر ، والتهديد بالنفى والرق والقتل واندفعت محاكم التفتيش فى أعمالها الوحشية اندفاعاً قاسياً ، مما أرغم المسـلمين على التنصر أو الهجرة إلى الشمال الإفريقى وإلى مصر .

وقد بدأ فرديناند نفسه هذا السلوك التعسفى ، وحنث فى الأيمان والعهود التى قطعها على نفسه ، وقد بلغ من ظلمه فى معاملة المسلمين أنه كان يحرق بعضهم ، ويصادر أموالهم ويتبعهم بالأذى والعذاب فى كل مكان .

على أن هـذه الوحشية بلغت مداها فى عهـد فيليب الثالث (١٦٠٩ — ١٦١٤) الذى وضع الأساس للقضاء على الإسلام فى أسبانيا تماماً ، ولمـا تمسك عدد كبير من السكان بالإسلام يقدره المؤلفين (٨٠) بخمسة ملايين ، استولى هـذا الملك على أموالهم وطردهم بصورة غير إنسانية بعد مهلة لم تزد على ثلاثة أيام ، وكثيرون منهم لم يصـلوا إلى الشاطىء الآخر وابتلعهم اليم مما أثار بعض العطف من قلة قليلة من الأسبان كانت لها قلوب وضمائر .

وهكذا اختفى الوجود الإسلامى من أسبانيا فى مطلع

---

(٨٠) د . احمد هيكل : موجز عن اسبانيا (مذكرات) .

القرن السابع عشر ، وربما كانت هناك قلة قليلة بقيت مسلمة في الخفاء ، ولكن أبناء هؤلاء وأحفادهم نشأوا لا يعرفون إلا المسيحية ديناً والإسبانية لغة ، وإن كانت الملامح العربية فرضت نفسها على الأسبان بما لا يحتمل الزوال .

ومرة أخرى لقد سمعت من الأسبان إبان زيارتي لأسبانيا في سبتمبر سنة ١٩٧٤ تلك الحقيقة التي تؤكد أن أكثر زوجات الأمراء والجنود المسلمين الأول كن من الأسبانيات وكذلك كانت أكثر زوجات الأمراء والعظماء في العصور المختلفة ، ونتيجة لهذا فإن الأجيال المتأخرة من المسلمين كان يتضح بها الدم الأسباني ، ويقول هؤلاء تبعاً لذلك : **إن الأسبان المسيحيين طردوا الأسبان المسلمين ، فالصراع كان في الحقيقة بين دينين ولم يكن بين شعبين أو بين جنسين .**

١٠ ــ الحروب الصليبية فى شمالى افريقية امتداد للحروب الصليبية بسوريا ومصر

شغلت الحروب الصليبية الكبرى فى سـوريا ومصر أذهان المسلمين وأقلام الباحثين والمؤلفين حتى لأوشك الناس أن يغفلوا أمر حروب صليبية أخرى وقعت فى الشمال الإفريقى وفى غيره ، فقد تعرض الشمال الإفريقى لهجوم صليبى قام به أسير المنصورة الملك لويس التاسع ملك فرنسا الذى فدا نفسـه بجزية كبيرة ليفك المصريون إسارَه على ألا يعـود للهجوم على الشرق الإسلامى ، ولكن الرجل كانت تدفعه عصبية مجنونة ضـد المسلمين فهاجم تونس .

وبعض المفكرين يعتبر هـذه الغزوة الصليبيـة حملة صليبية ثامنة ، إذ أنها أضافت حملة جديدة للحملات الصليبية السبع على المشرق ، وقد حدث نزول لويس وحلفائه فى تونس فى آخر ذى القعدة سنة (٦٦٨ هـ ــ ١٢٦٩ م) على رأس جمـوع كبيرة [٨١] ولم يكن نزول الصليبيين أرض تونس مفاجأة للمستنصر الخليفة الحفصى ، فقد كان هذا متوقّعا إذ

---

(٨١) ابن أبى دينار : المؤنس ١٣٦

سبقت به الأخبار إلى تونس فراح الخليفة الحفصى يعد العدة لرد الغزاة وأدرك الحفصيون أن الغزاة يتجهون إلى قرطاجنة لينزلوا بها ، فزحف التونسيون لملاقاتهم فى هذا المكان ودارت معارك رهيبة بين الغزاة والمدافعين ، ولكن أسلحة الغزاة كانت أحدث وأقوى ، فانتصر الفرنسيون واحتلوا قرطاجنة ، بيد أن الجيش التونسى حاصر المنطقة ، فلم يستطع الفرنسيون تحقيق أهدافهم .

وعندما نزل الصليبيون قرطاجنة سرعان ما استفادوا من الأبنية والحصون الموجودة بها ، وأضافوا لها عدداً من من الأسوار والخنادق ، وفى نفس الوقت كانت مؤنهم ومعداتهم العسكرية تفد لهم عن طريق البحر من صقلية أو من فرنسا عن طريق صقلية (٨٢) .

واستعداداً للصراع ضد الغزاة نظم الخليفة الحفصى جيشه واستنفر المغرب لمساعدته ، فاستجاب له جند كثيرون من المغرب الأوسط ، كما استجاب له بعض عرب المشرق ، وبذلك اجتمع له من المسلمين عدد لا يحصى ، وخرج العلماء والفقهاء والمرابطون مع المجاهدين ليأخذوا نصيبهم من

---

(٨٢) المرجع السابق وابن خلدون : العبر ٦ : ٢٩٢

الجهاد [٨٣] وظل الخليفة عاقداً مجلس الحرب لا ينهيه ، وقد سقط فى هذا الصراع عدد كبير من الفريقين وبعد حوالى أربعة شهور أصيب جيش الغزاة بوباء قضى على عدد كبير منهم وامتد هذا الوباء إلى لويس التاسع نفسه فقضى عليه فى العاشر من المحرم سنة (٦٦٩ هـ — ١٢٧٠ م) ودفن بمدينة قرطاجنة .

وأصبح واضحاً بعد ذلك أن حلا سلمياً لا بد أن يوقف هذا الصراع ، إذ اتضح أن القوة غير ذات جدوى ، ودارت مفاوضات بين الخليفة وزوجة لويس التاسع على أساس أن يترك الصليبيون تونس ، وتعقد هدنة بين الطرفين مدتها خمسة عشر عاماً على أن تدفع تونس التكاليف التى أنفقتها الحملة ، وقدّرت بمبلغ كبير [٨٤] .

وكتب عقد الصلح ، وجلا عن تونس جيش الغزاة فى ربيع الأول من نفس العام وتذكر كتب الأدب أن شاعراً تونسياً تحدث عن نهاية لويس فى قصيدة أبرز فيها أن حظ لويس فى مصر كان داراً سجن فيها ، وأن حظه فى تونس كان قبراً دفن به .

---

(٨٣) ابن خلدون : العبر ٢ : ٢٩٣

(٨٤) المرجع السابق ص ٢٩٤

ويرى بعض المؤرخين أن حماس الفرنسيين الحالى ضد الشمال الإفريقى ليس إلا تلبيـــة لهتاف تخيلوه من مقبرة شهيدهم الدفين ، فكان ذلك ضمن الأســباب التى جعلت الشمال الإفريقى هدفاً للاستعمار الفرنسى مدة طويلة (٨٥) .

على أن سقوط أسبانيا فى أيدى المسيحيين قد جـــدد الاتجاه الصليبى فى نفوس الأوربيين فأصبح الشمال الإفريقى هدف المسيحيين المنتصرين ، وبخاصة الأسبان والبرتغاليون ، فقامت حروب صليبية قاسية طويلة المدى ، تعرضت فيهـــا سواحل شمالى إفريقية إلى هجمات مسيحية متصلة ، وسقط بعضها فى أيدى المهاجمين ولا تزال للأسف حتى الآن بقايا لهذه الحروب الصليبية ، تتمثل فى القواعد العسكرية وبعض المدن الساحلية التى احتفظ بها أبناء الصليبيين الأول مـــدة طويلة .

---

(٨٥) سعيد العريان : شمالى افريقية ص ١٧

١١ ــ الحركة الصليبية ضد الإمبراطورية العثمانية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين

شهد القرن السادس عشر الميلادى دولة إسلامية كبرى هى تركيا تقيم إمبراطورية إسلامية من أكبر الإمبراطوريات التى عرفها التاريخ ويأخذ سلطانها لقب « الخليفة » ومنصب الخلافة ، ويضم إليه الجزيرة العربية ومصر والشام والعراق وشمالى إفريقية أو أكثره ، وشهد هذا القرن تلك الإمبراطورية الإسلامية القوية المتحدة تزحف على أوربا ، وتحتل منها ما يعرف الآن برومانيا وبلغاريا واليونان ويوغسلافيا وألبانيا والمجر ، وتجعل كلا من البحر الأسود والبحر الأبيض بحيرة إسلامية (٨٦) .

ونقف الآن لنتساءل : ماذا كان موقف الإمبراطورية المسلمة من رعايا الدول المسيحية التى احتلتها ؟

والإجابة نأخذها من اثنين من المفكرين الغربيين ، يقول كارل بروكلمان (٨٧) إن الخليفة العثمانى أبقى على استقلال

---

(٨٦) المجتمع الاسلامى للمؤلف ص ٢١٣

(٨٧) كارل برو كلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ٢ : ٤٢ (الترجمة العربية) .

البلغار الكنسى ، فعل أسلافه من قبله ، واعترف وفقاً للفكرة الإسلامية المعززة بالتقاليد الدينية — بجميع السلطات الدينية اليونانية ، بل إنه زادها قوة بأن وكل إليها أمر القضاء المدنى وتطبيق أحكامه على أتباعها .

ويصف فولتير الفيلسوف الفرنسى موقف المنتصر المسلم من المهزوم المسيحى بقوله : إن الأتراك لم يسيئوا معاملة المسيحيين كما نعتقد نحن ، والذى يجب ملاحظته أن أمة من الأمم المسيحية لا تسمح أن يكون للمسلمين مسجد فى بلادها بخلاف الأتراك ، فإنهم سمحوا لليونان المقهورين بأن تكون لهم كنائسهم ... ومما يدل على أن السلطان محمداً الفاتح كان عاقلا حليماً ، تركه للنصارى المقهورين الحرية فى انتخاب البطريك ، ولما انتخبوه ثبته السلطان وسلمه عصا البطارقة وألبسه الخاتم ، حتى صرح ذلك البطريك عن ذلك بقوله : إنى خجل مما لاقيته من التبجيل والحفاوة ، الأمر الذى لم يعمله ملوك النصارى مع أسلافى من البطارقة (٨٨) .

ولعل من الخير أن نشير هنا إلى الفرق بين هذا التصرف وتصرف غير المسلمين عندما يحظى غير المسلمين بأية انتصارات

---

(٨٨) نقلا عن دائرة معارف وجدى ج ٢ ص ٥٦٦ — ٥٦٧

ضـــد المسلمين ، كانتصارات المسيحيين المدمرة فى الحروب الصليبية الأولى ، وكانتصاراتهم فى أسبانيا على المسلمين فى عهودهم الأخيرة ، وكالانتصارات الزائفة لليهود ضد العرب فى فلسطين ، فقد كانت دائماً انتصارات فيها حقد وغل ودماء ودمـــار •

ونجىء الآن لنرى الموقف الصليبى الذى وقفه الغرب من هذه الامبراطورية ، يقول الأستاذ محمد حبيب أحمد (٨٩): تألـَّبت الدول الأوربية على الخلافة الإسلامية ، واجتمعت كلمة المسيحيين على الوقوف فى وجه التيار الإسلامى الجارف ، وعـُقـِدت المعاهدات وتضافرت القوى لهذا الغرض ، وكان من ســـوء حظ الخلافة الإسلامية أن ظهرت هــذه الحركة الأوربية فى وقت كان سلاطين آل عثمان قـــد انغمسوا فى الترف ، واستسلموا للدعة والنعيم •

وقد اتخذ الصراع ضد تركيا شكلا دينياً واضحاً ، إذ تكوَّن ضدها حلف مقدس من النمسا ومن بولندة والبندقية ، وكان لهذا الحلف أثر كبير فى التغلب على تركيا وضعضعة قوتها ، ثم دخلت روسيا باسم الدين هذه الحروب تؤيدها

---

(٨٩) محمد حبيب احمد : **نهضة الشعوب الاسلامية** ص ١٦.

جميع الدول المسيحية ، وأنزلت بالخلافة الإسلامية ضربات قاصمة وخسائر فادحة .

ولإعطاء بعض التفاصيل عن الدور الصليبى الذى واجه العثمانيين نورد بعض أمثلة قليلة للحروب التى شنها الغرب ضد الدولة المسلمة :

فى سنة ١٣٨٩ م تجمع حلف من النصارى تكوّن من القوات الصربية وقوات من الشناق والمجر وبلغاريا والألبانيين ، وشن هذا الحلف حرباً ضد العثمانيين ، ولكن السلطان « مراد » انتصر على هذا الحلف انتصاراً عظيماً ولكن صربياً كان جريحاً بين القتلى ، فانتهز فرصة مرور السلطان به فطعنه غدراً طعنة قاتلة (٩٠) .

وعندما فقد البيزنطيون آخر ممتلكاتهم فى آسيا الصغرى وهى مدينة (آلاشهر) عم الهول والفزع معظم الأوربيين من كثرة فتوح العثمانيين وسرعة تقدمهم فى أوربا ، وقامت ضجة دينية للحض على حروبهم ، فقام البابا يدعو الناس باسم الدين إلى مقاتلتهم ، وخرج لذلك جيش أوربى عظيم

---

(٩٠) اقرأ تاريخ الامبراطورية العثمانية بالطبعة السابعة للجزء الخامس من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف .

بقيادة (سجسند) ملك المجر ضم بين كتائبه كثيراً من فرسان فرنسا وألبانيا وكان بايزيد إذ ذاك غائباً فى آسيا ، ففاز الأوربيون فى بادىء الأمر ، واستردوا من الترك كثيراً من المدن ، ثم شرعوا فى حصار مدينة (نيقوبولس) وهى من أمنع المدن على نهر (الطونة) فلما علم بايزيد بذلك أسرع للقائهم ، فهزمهم هزيمة تعد من أنكر الهزائم التى دونها التاريخ ، بحيث لم ينج من جيوشهم إلا النزر اليسير وكانت هذه الموقعة سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٦ م) (٩١) .

وفى عهد مراد الثانى تكون سنة ١٤٣٠ م تكتل مسيحى جديد قام به « هونياد » القائد المجرى العظيم ، وقد حقق هذا القائد كثيراً من النصر فى البلقان ، ثم عقدت معاهدة إز جدن سنة ١٤٤٤ نزل العثمانيون فيها عن بلاد الصرب وأعطوا الأفلاق للمجر ، ولكن المسيحيين نقضوا المعاهدة واستأنفوا القتال فالتقى بهم مراد الثانى مرة أخرى وأنزل بالمسيحيين هزيمة شاملة (نوفمبر سنة ١٤٤٤) وقتل فى المعركة بعض ملوك أوربا وأمرائها وتم إخضاع البوسنة

---

(٩١) عمر الاسكندرى وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح الاسلامى ص ٢٠

والصرب ، ووصـــل العثمـــانيون بذلك إلى ما يعرف بعصر القـــوة (٩٢) .

ثم ضعفت الإمبراطورية العثمانية من كثرة الضربات التى وجهتها أوربا لهـــا ، ومن تعاون أوربا جميعها ضدهـــا باشتراك البابا وقيادته ويقول الأستاذ محمد فريد مؤرخ الدولة العثمانية معلقاً على معركة ايبانتو البحرية ما يلى (٩٣) : واشتراك البابا فى هذه المعركة يدل على أن المحرك الأول **لهذه التألبات ضد الدولة الإسلامية هو الدين ، كما أيدته الحوادث والحروب فيما بعد ، لا السياسة كما يدعون ، وكان لفوز المسيحيين رنة فرح فى قلوب المسيحيين أجمع ، حتى أن البابا خطب فى كنيسة مارى بطرس برومة وشكر « دون جوان » قائدها على انتصاره على السفن الإسلامية ، وذلك مما لا يجعل عند المطالع أقل ريبة ، فى تعصب المسيحيين ضد الإســـلام والمسلمين ، وفى أن هـــذه الحروب كانت دينية لا سياسية كما ادّعاه ويدّعيه الأوربيون ويغترّ به السذج غير المطلعين .**

---

(٩٢) موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف جـ ٥ ص ٦٧٤

(٩٣) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ص ١١٢

تقسيم الإمبراطورية العثمانية :

والعجيب أن أوربا المسيحية اتجهت منذ القرن السادس عشر للتفكير فى تقسيم الإمبراطورية العثمانية عندما تهزم ، فقد وضعت الخطط للقضاء عليها ، ووضعت الخطط لتقسيمها ، وقد أصدر « المسيو دجوفارا » كتابا يضم مشروعات التقسيم التى تقدم بها رجال السياسة ورجال الحرب والفلاسفة وغيرهم ، والكتاب عنوانه (مائة مشروع لتقسيم تركيا) وعندما ندرك أن هناك مائة مشروع لذلك فإننا ندرك مدى الاهتمام والإصرار من قادة المسيحيين لمحاربة الإمبراطورية الإسلامية .

وقد لخص الأستاذ شكيب أرسلان (٩٤) هذا الكتاب ومن ضمن هذه المشروعات مشروع قدمه الفيلسوف الفرنسى (ليبنتز) للملك لويس الرابع ملك فرنسا وفيه يعطى اهتماما خاصا لمصر ، إذ جاء ضمن اقتراحاته « أنه إذ انتزعت مصر من يد الأتراك آل أمرهم إلى البوار ، لأن مصر وكر الدين الإسلامى وملاذ المسلمين » (٩٥) .

---

(٩٤) حاضر العالم الاسلامى جـ ٣ ص ٢٦٣ وما بعدها .

(٩٥) انظر كتاب : « صليبيون الى الأبد » للاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود .

وفى أحد المشروعات نص يذكر أن تقتطع من أراضى الدولة العثمانية جزء يكون « مملكة عبرانية بفلسطين » .

وأضاف نابليون فيما بعد توجيه الاهتمام إلى عاصمة الدولة العثمانيــة ، فهو يقول : مَنْ مَلَكَ القسطنطينية أمكنه أن يسود الدنيا لأنها مفتاح العالم .

* * *

وهكذا تجمّع الصليبيون من كل حدبٍ وصوبٍ للصراع ضد الإمبراطورية العثمانية ، وامتدّ صراعهم أربعة قرون ، وظلوا على هذا العداء حتى عثروا على قائد هو « كمــال آتاتورك » الذى نقل امبراطورية الخلافة الإســلامية الى دولة علمانية (*) ، وبَعُدَ عن الإســلام ، وحينئذ فقط توقّف عداء الصليبيين لتركيا .

(*) عن هذا التحول اقرأ الجزء الخامس من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف (الطبعة السابعة) .

١٢ – الحركة الصليبية وراء الحملة الفرنسية على مصر

عند الحديث عن الحروب الصليبية الشهيرة ذَكَرْنا أن هذه الحروب كانت مشروعاً فرنسيا ، فقد انتقل البابا من مقره بإيطاليا ليعلن هذه الحرب فى كليرمونت بفرنسا ، وكانت جهود فرنسا فى تلك الحروب متصلة وملتهبة ، وكان فشلها على يد لويس التاسع ملك فرنسا ، ولهذا نرى أن حملة نابليون على مصر والشام كانت امتداداً للحروب الصليبية وإحياء لها ، وقد حرص نابليون بعد شهور قليلة من وصوله إلى مصر أن يزحف على فلسطين آملا أن يضم له الأرض التى عجز أجداده عن الحياة فيها .

ويذكر المؤرخون أسباب الحملة الفرنسية على مصر وفلسطين ، وهى نفسها أسباب الحروب الصليبية إلا ما أخفاه الفرنسيون حتى يخدعوا الكتاب والسكان ليخفوا ارتباط هذه الحملة بالحروب الصليبية ، ولكن الباحث المدقق يستطيع أن يضع يده بسهولة على التوافق بين الحملتين ، وبالتالى يتأكد أن الحركة الصليبية كانت وراء الحملة الفرنسية على مصر .

إن فى مقدمة هذه الأسباب الاستيلاء على بيت المقدس ولما كانت الحروب الصليبية الشهيرة أثبتت أن تحقيق هذا الهدف لا يتم إلا بعد السيطرة على مصر ، فقد رأى نابليون أن يبدأ بالسيطرة على مصر [٩٦] .

ومن أسباب حملة نابليون التطلع إلى ثراء مصر وثراء الشرق ، وقد اتضح ذلك من البيان الذى أصدره نابليون فور وصوله لمصر ، وفيه يعلن أهدافه بصراحة حين يقول : خبرونى بالله عن الميزة التى تفرد بها المماليك عن بقية الناس حتى اختصوا بملك مصر وحدهم ، ونعموا دون سائر الخلق بمحاسنها [٩٧] ... وتلك فى الحقيقة سقطة من القائد الكبير الذى اعترف بأنه جاء ليحل محل المماليك وينعم بخيرات مصر ، وذلك كان هدفاً واضحاً للحروب الصليبية ، فإنه عقب نجاح الجولة الأولى لتلك الحروب ، وعقب تأسيس الإمارات الصليبية بالشرق ، اتجه الأمراء لتسريح الجيش ، ووجهوا همهم للثراء والغنى ، وكان ذلك من أسباب ما لحق بهم من فشل بعد فترة قصيرة .

---

(٩٦) موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف جـ ٥ (الحملة الفرنسية) .

(٩٧) الجبرتى : العجائب والآثار جـ ٣ ص ٢١٧ .

وحملة نابليون كانت امتداداً للحروب الصليبيـة فى اتجاهها نحو الغدر وإراقة الدماء ، فقد قَتَلَ نابليون محمد كريم لأنه رفض أن يكون صنيعة لـه ، ولأنه قاوم الحملة مدافعاً عن وطنه ،وفى مسيرة نابليون تجاه فلسطين استولى على غزة ويافا ، واستسلمت لـه الحامية التى كانت بتلك المناطق ، إذ لم تكن قادرة على مقاومة أسلحة الفرنسيين واستعداداتهم ، ولم يتم الاستسلام إلا بعد أن أمّنها نابليون وتعهد بسلامتها ، ولكن سرعان ما اتجه الرجل وجهة أجداده عندما استولوا على القـدس ، فأعمل السيف فى هـؤلاء المستسلمين ، فحمل بذلك مسئولية هـذا العدوان الإجرامى بعد عهد الأمان •

ولقد انفردت حملة نابليون بالزحف على هذه البقاع ، ولذلك حشـد هذا التصرف حفيظة الغيظ فى نفس انجلترا ، التى كانت ترى أن تشترك مـع فرنسا فى هـذا الزحف وتقاسمها الغنائم ، ومن أجـل ذلك قاومت انجلترا هـذا الزحف المنفرد وضربت أسطول فرنسـا ودمرته ، فالحروب الصليبية اشتركت فيها كل أوربا ، وانفراد دولة بإحيائها يسىء للآخرين ، هذا بالإضافة إلى احتمال أن يعرقل نابليون طريق المستعمرات الأوربية بالشرق الأقصى •

ومما يؤكد الصلة بين حملة نابليون والحروب الصليبية ، أن الأوربيين جميعاً اشتركوا — بعد فشل حملة نابليون — فى الادعاء بأن هذه الحملة إن كانت قد فشلت عسكرياً فقد نجحت حضارياً ، وأصبح هذا الادعاء عاماً ، وقالوا إن الحملة ربطت بين مصر والتقدم الأوربى ، وإن جذوراً حضارية نبتت بمصر بسبب هذه الحملة ، وذكروا لذلك بعض أمثلة كحجر رشيد والمطبعة التى كانت مع الحملة وكتاب وصف مصر ٠٠٠

ولم يكن هذا الادعاء إلا حرصاً على تزييف التاريخ ، ليتاح للأوربيين عقب ذلك أن يستعمروا الشرق الإسلامى باسم الدفع الحضارى والتقدم ٠

ولا شك أن ما ذكر من ادعاءات حضارية لهذه الحملة ادعاءات باطلة ، فإن الفترة التى تلت الحملة حتى بدء عصر محمد على كانت فترة ظلام حالك وضياع كامل ، وإن ما يقال عن عناصر حضارية هو شىء بعيد عن الواقع ، فحجر رشيد عثر عليه جنود الحملة بطريق الصدفة ، ولم يتم حل رموزه إلا سنة ١٨٢٨ ، والمطبعة كانت لكتابة البيانات المخدّرة ، وصحبتها الحملة معها وهى عائدة ، وكتاب وصف مصر لم يترجم للعربية ، وظل حبيساً حتى

ترجمت أجزاء قليلة منه بعد الحملة بحوالى قرنين ، وبعد أن تغيرت معالم الحياة بمصر (٩٨) .

إن الحملة كانت تدميراً ولم تعرف الحضارة ولا العمران.

وبمناسبة الحديث عن هذا الادعاء نذكر أن العكس هو الصحيح فقد خرّبت الحملة الأرض ، وضربت الحضارة الفرعونية عندما أطلقت قذائفها على (أبو الهول) والحضارة الإسلامية عندما ضربت الأزهر ، وقتلت العلماء ، ثم خربت الذمة عندما أغرت بعض الأقباط بقيادة « يعقوب فام » لخيانة الوطن والانضمام لهم على الرغم من استنكار قادة الأقباط الذين أسهموا فى الدفاع عن البلاد بجهودهم ولموالهم .

وكانت الحركة التبشيرية التى غَزَتْ مصر عقب الحملة الفرنسية واحدة من النتائج الأليمة التى ارتبطت بهذه الحملة المسعورة .

إن حملة نابليون على مصر حلقة من سلسلة الحملات الصليبية على الإسلام والمسلمين .

---

(٩٨) اقرأ تفاصيل ذلك فى الجزء الخامس من موسوعة التاريخ الاسلامى المؤلف .

١٣ ــ الحركة الصليبية

تحطم خطوات الإصلاح بالعالم الإسلامى

كان من أهم أهداف الدول الصليبية عندمـــا احتلت الأقطار الإسلامية أن تعيدهـــا إلى الوراء مئات السنين ، وأن تقضى على كل الخطوات والمشروعات الإصلاحية التى سبقت هذا الاحتلال ، ثم أن تضع الأسس لتخلّف المسلمين فى المستقبل •

والباحث الدقيق يرى هذا فى كل البلاد الإســلامية دون استثناء ، ترى ذلك فى الهند حتى شكا بعض الانجليز المنصفين من تحيز الانجليز للهنادكة ومحاربتهم للمسلمين ، وتراه فى ســوريا والسودان والعراق ومصر واندونيسيا وغيرها ، وقد وضحت ذلك فى الأجزاء المختلفة من « موسوعة التاريخ الإسلامى » •

وهنا نقدم نموذجا واحدا هو « مصر » لنرى بريطانيا وهى تضرب فيها كل ما حققه محمد على باشا والخــديوى إسماعيل من خطوات الإصلاح •

محمد على والجيش والاسطول والتعليم :

ومن الواضح للمؤرخين أن محمد على تقـدم بمصر خطوات واسعة ، وجعل منها دولـة حديثة ؛ خلصها إلى حـد كبير جدا من الاضطرابات العثمانية والتخلف الذى كان يسـود بلاد هذه الامبراطورية ، وأقام لها جيشـا عظيما ، وأسطولا ضخما ، واهتم اهتماما كبيرا بالتعليم والنهضة الفكرية ، فأنشأ مجموعة من المدارس العليا بالإضافة إلى المدارس الابتدائية والثانوية ، ووجه عناية كبرى للأزهر .

امتدادات مصر فى الشمال :

وكان محمد على قـد قدم مساعدات كبيرة للبـاب العالى فى أزماته التى كان يمر بها بسبب الحركة السعودية بالجزيرة العربية ، وبسبب ثورات اليونان ، وأحس أن من حقه أن ينال حسن الجزاء لذلك ، فطالب أن يمتد سلطانه للشـام الذى كان يمثل فى تقدير محمد على حدود مصر الطبيعية من جهة الشمال ، ولكن الباب العالى لم يكن يتجه لبناء محمد على وتقويته بل كان يسعى لانتقاص سلطانه ، ولذلك رفض هذا الطلب ، وعمد محمـد على لنيله بالقوة فزحف جيش مصر وحقق انتصارات سريعـة سنة ١٨٣١

و ١٨٣٢ وتم فتح بلاد الشـــام ، ثم اندفــع جيش مصر يطارد جيش العثمانيين فى آسيا الصغرى فدحر جيشـــا كبيرا يقوده الصدر الأعظم فى ديسمبر ١٨٣٢ ووقع الصدر الأعظم أســيرا ٠

وتجددت الحرب سنة ١٨٣٩ وحـــدثت آنذاك موقعة نصيبين حيث اندحر جيش الترك ووقــع أكثره بين قتيل وأســير ٠

وهنا تدخلت أوربا وبريطانيا بوجه خاص ، وأرغمت محمد على بالقوة وبمساعدة أعدائه على إخلاء كل ما فتحه فى الشـــام وفى الجزيرة العربية ، ولم تكتف بريطانيا بذلك ، بل أثارت على جيش مصر المنسحب كثيرين من عمـــلائها فأفقدته عددا من رجاله وكثيرا من أسلحته ومعداته ٠

عهد إسماعيل :

وفى عهد اسماعيل أخـــذت مصر مكانتها الدولية على أحسن نطاق ، وامتدت حدود مصر امتداداً واسعا فى إفريقية فضم منابع النيل ، وارتفعت رايات مصر على كل بقعة فى شاطئيه ثم امتدت مصر إلى مناطق مختلفة فى إفريقية فضمت أوغندا واقليم البحـــيرات ، ومنطقة دار فـــور ، ثم ضم

إسماعيل عـــددا من الموانى على البحر الأحمر بالفتح أو الشراء ، ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد فى دراسة لــه عن الخـــديوى إسماعيل : إن مجرى نهر النيل لم يتوحد فى ظل راية واحدة إلا فى عهد إسماعيل ٠

وأدخلت مصر صورا من العمران والمدنية فى هـــذه المناطق الشــاسعة حتى كان الزحف المصرى يوصف بأنه زحف النور والحضــارة ، فقـــد فتحت مصر المــدارس والمستشفيات ومهدت الطرق ونظمت التجــارة ، ونشرت الأمن والقوانين ، وقضت على تجارة الرقيق ، وانطلق علماء الأزهر الذين كانوا يرافقون الحملات يدعون للإســـلام ، وينشرون مبادئه وأخلاقه حتى كان إقبال الناس على التبعية لمصر شرفاً وكسراً لحائط الجمود بين المدنية والتخلف ٠

وفى مصر أنشـــأ إسماعيل مؤسسات ضخمـــة لرعاية الجوانب الحضارية فى مختلف اتجاهاتها مثل : دار الأوبرا ودار الكتب ودار الآثار العربية ودار العلوم بالإضافة إلى كثير من المعـــاهد والمدارس العليا والإصلاحات القضائيـــة والعســـكرية ٠

وخطا إسماعيل خطوات واسعة نحو الديمقراطية بإنشاء مجلس شورى النواب ، وظهور الصحافة ٠

وفى كلمة مجملة نذكر سطورا من كلمات القنصل البريطانى (فارمان) ضمن تقرير رسمى كتبه فى ٢٧ يونيو ١٨٧٩ جاء فيه ٠

إن مصر تقدمت فى أعوام حكم إسماعيل الستة عشرة فى جميع نواحى المدنيّة الحديثة أكثر مما تقدمت فى مئات السنين التى سبقت حكمه ، ومصر مدينة بهذا التقدم كله إلى إسماعيل ٠

الغرب يصارع هذا التقدم :

أدرك الغرب أن تطور مصر سيعود على الدول الغربية الصليبية بالخسارة العظيمة ، وبخاصة أن الغرب كان يتجه لغزو إفريقية ، ولكن إسماعيل كان قد سبق بالزحف عليها ، زحفا يعطى ولا يأخذ ، ومن أجل هذا اتجهت الجهود الصليبية لمصارعة إسماعيل ، ثم للقضاء على إصلاحاته بعد عزله وتولية ابنه الضعيف توفيق ٠

خيانة أمريكية وقت الحرب :

وجاء فى مذكرات عرابى [٩٩] : أن الهزيمة الوحيدة التى حدثت للجيش المصرى خلال زحفه فى إفريقية كانت فى الحرب بين مصر والأحباش (سنة ١٨٧٥ — ١٨٧٦) وكانت بسبب خيانة أمريكية ، فقد ارتكب أركان الحرب الأمريكيون الذين كانوا موظفين فى الجيش المصرى خيانة عظمى وبخاصة الجنرال (لورنج) وكان هذا ينقل أسرار الجيش المصرى إلى الأحباش بواسطة أحد المبشرين الفرنسيين ، وعندما بدأت المعركة أعلن خيانته هو ومن معه من الضباط الأجانب فأخلوا الطريق للعدو ، ومنعوا الجنود المصريين من أداء واجبهم ، وتقهقر هؤلاء والمعركة تدور ، وكان الخونة يلبسون شارة اتفق عليها حتى لا يمسهم الأحباش بسوء ، وقد ذكر الزعيم أحمد عرابى ألوانا من المخازى والخيانات عن هذا الموضوع بكثير من التفصيل [٩٩].

عزل إسماعيل :

ولم يقنع الغرب الصليبى بهذه المكائد بل رأى من الضرورى التخلص من إسماعيل وبالتالى التخلص من

---

(٩٩) مذكرات عرابى ص ٣٥ — ٣٨

فتوحاته وتوسعاته ليخلو لهم الجو فى إفريقية ، واصطنعوا لذلك الأسباب وجعلوا فى قمتها ما سمى بديون إسماعيل .

ولعل (فارمان) الممثل البريطانى فى مصر آنذاك يعد أوثق مصـدر عندما نتحدث عن عزل إسماعيل ، فقد ذكر فى تقرير رسمى بعث به إلى حكومته من القاهرة فى ٨ يوليو ١٨٧٩ مـا يلى : إن حكومـة الخـديوى إسماعيل كانت أفضـل حكومات الشرق ، وذلك حسب أكمل مالـدىَّ من معلومات استطعت الحصول عليها ، فهى الحكومة الشرقية الوحيـدة التى انفردت بمحاولة التقـدم والرقى فى كل ما يتصل بأسباب الحضارة الحديثـة وإن الذى يستعرض ما تم فى عهد إسماعيل يدرك أن التقدم الذى أحرزه كان عظيماً جـداً ، وإن المسـألة المـالية التى اتخذت أساساً لعزله ليست إلا مجرد عـذر لتجعل من الممكن تنفيذ خطط سياسية معينة إذ لم يسبق أن اعتُبِرَ عجزُ دولة عن دفع ديونها سبباً يخـول الدول الأجنبية الحق فى أن تخلع حاكمها أو أن تغير حكومته .

وبعد عزل إسماعيل وتعيين ابنه الضعيف توفيق قسَّمت

بريطانيا ممتلكات مصر فى افريقيــة على الدول الغربيــة ، وأخذت هى نصيب الأســد [١٠٠] .

عهد توفيق والقضاء على الإصلاحات بمصر :

وأصبح توفيق آلة فى يد بريطانيا التى احتلت مصر فى عهده ، وقضت على جميع الإصلاحات التى قام بهــا أسلافه بعد أن استولت على جميع الامتدادات المصرية فى إفريقية ، ثم اتجهت قوة بريطانيا للسيطرة على السودان ، واتخذت فى ذلك ثلاث خطوات :

أولاها سحب الجيش المصرى من السودان عقب ثورة المهــدى .

والخطوة الثانية إعــادة الفتح باسم مصر ، ولكنهــا فرضت نفسها شريكا .

والخطوة الثالثة طرد الجيش المصرى مــن الســودان والاستبداد بحكمه .

---

(١٠٠) اقرأ الجزء السادس من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .

تراجع الحياة فى مصر فى عهد الاحتلال :

كان النفـوذ البريطانى عقب احتـلال مصر متشعب الجوانب ، فقـد حـُلّ الجيش المصرى ، وأغلقت المصانع الحربية ، وأزيلت البحريـة المصريـة ، وعطلت ترسـانة الإسكندرية وألغى الحكم النيابى ، وثبّتت بريطانيا نفسها فى مصر عن طريق معاهدات سرية بينها وبين دول الغرب تمّ فيها توزيع الدول الإسلامية والدول الإفريقية بين الدول الغربية ، وكان استبداد بريطانيا بالحياة فى مصر قاسياً ، وقد اتضح ذلك فى مأساة دنشواى تلك التى ظهر فيها المستعمر وقد فقد الجانب الإنسانى ، إذ راح ينتقم من فلاحى هـذه القرية بمديرية المنوفية بقسوة لا يعرفها الحق ، لأنهم اتّهموا بقتل أحد الجنود الانجليز الذين كانوا يصطادون حـَمَام القرية ، وقد حوكم الفلاحون محاكمة صورية وصدرت الأحكام بإعدام أربعة منهم ، وجلد ثمانية ، وبالأشغال الشاقة على اثنى عشر ، ونصبت المشانق بالقرية ، ونفذ حكم الإعدام علنا ، كما نفذ حـكم الجلد ٠

بريطانيا فى عهد فؤاد وفاروق :

وعندما صدر دستور ١٩٢٣ كنتيجة لثورة ١٩١٩ ساعدت بريطانيا هذين الملِكين على تجاهل هـذا الدستور وتجاهل

سلطان الأمة ، فلم يحظ ممثلو الأمـــة بقيادتها إلا فترات قصيرة جـــداً ، وكان السلطان فى يد نفر من أتباع الملكيين ورجال القصر على الرغم من إرادة الأمة وحقها .

وكل ما نراه فى مصر من مشكلات فى العصر الحـــاضر ليس إلا نابعا من النفـــوذ الصليبى ، فهـــو الذى حـــرك الغرب هذه الحركات ، ودفع الدول الغربية لمصارعة العالم الإسلامى بوجه عام ومصر بوجه خاص ، لأنها مركز للفكر الإسلامى ومحور لحركات النهوض الدينى والاجتماعى .

١٤ — الحركة الصليبية

خلف استعمار أوربا للدول الإســلامية

فى هذا الموضوع ندرس نقطتين :

أولا — أن الاستعمار الأوربى للشرق كان بروح صليبية معادية أشد العداء للمسلمين وللانسانية .

ثانيا — أن تعاوناً شاملا حدث بين الدول المسيحية لتمكينها من استعمار الشرق الإســلامى كله وسلب حريته وثرائه . ثم لتمكين دول أوربية صغيرة من استعمار دول إسلامية كبيرة .

الروح الصليبية فى استعمار الشرق :

وللحــديث عن النقطة الأولى نســوق مجمــوعة من الاقتباسات تدل بوضوح على أن الاستعمار كان دموياً صليبياً متعصباً :

جاء فى النشيد الإيطالى ما يلى :

أماه ، لا تبكى ، بل اضحكى وتأملى ، ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى ؟ ، أنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمى فى ســحق الأمة الملعونة ، ولأحــارب الديانة

الإسلامية ، سأقاتل بكل قوتى لمحو القرآن ... إن سألك أحد عن عدم حدادك علىَّ فأجيبيه : إنه مات فى محاربة الإسلام ، الطبل يقرع يا أماه ، ألا تسمعين هرج الحرب ؟ دعينى أعانقك وأذهب .

وقال مستر جلادستون من مشاهير الانجليز :

يجب إعدام القرآن .

وكتب صاحب مجلة العالم الإسلامى ما يلى :

« العالم النصرانى على اختلاف أممه وشعوبه عِرْقاً وجنسية هو عدو قاس مناهض للشرق على العموم وللإسلام على الخصوص ، فجميع الدول النصرانية متحدة معاً على دك الممالك الإسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

« والروح الصليبية كامنة فى صدور النصارى كمون النار فى الرماد ، وروح التعصب لم تنفك حية معتلجة فى قلوبهم حتى اليوم . كما كانت فى قلب بطرس الناسك من قبل ، فالنصرانية لم يزل التعصب مستقرا فى عناصرها ، متغلغلا فى أحشائها متمشياً فى كل عرق من عروقها ، وهى أبدا ناظرة إلى الإسلام نظرة العداء والحقد والتعصب الدينى الممقوت .

« وجميع هذه الشعوب النصرانية مجمعة ومتفقة على عداء الإسلام ، وسحق المسلمين » (١٠١) .

وقد كتب الجنرال نيكلسون يقول : يجب علينا أن نسن قانوناً يبيح لنا أن نحرق أو نسلخ جلود هؤلاء وهم أحياء ، لأن نار الانتقام التى تتأجج فى صدورنا لا تخمد بالشنق وحـده .

وقـد كان الجنرال نيكلسون حسن النية لأنه فكر فى سن قانون بذلك ، ولكن غيره فعل هذا وأفظع منه دون أن يحتاج إلى سن القوانين .

إنه عداء دينى ما فى ذلك شـك ، وقد كان من الممكن أن يعلن الغربيون ذلك لولا أنهم خشـوا أن تحس الدول الإسلامية بالخطر يتهددها جميعاً فتتحد وتتعاون لمقابلة هذا العدوان ، والغرب حريص على أن يثير الخلاف بين هـذه الدول وأن يبذر بينها بذور الشقاق بإيهامها أن هذا العـداء لا صلة لـه بالناحية الدينية ، وبذلك يتخطفها ويستذلها واحدة بعد واحدة .

---

(١٠١) احمد امين : يوم الاسلام ص ١٠٩ — ١١٠

قســوة صليبيَّة فى الهند :

وكتب السير وليام هنتر William Hunter (١٠٢) يحذِّر الانجليز نتائج السياسة الحمقاء التى اتبعوها ضد مسلمى الهند ، قال :

« ولقد عاش ملايين المسلمين فى الهند بعد سقوط دولة المغول فى تعاسة وشــقاء بعد أن فقدوا كبرياءهم وقوتهم ، وكانوا يُبْعَدون عن الإدارة والمناصب اللهم إلا المراكز التافهة .

« وإنه لن يجدينا نفعاً أن نُصِمّ آذاننا عن هذه الحقيقة الماثلة من أن المسلمين الهنود لهم الحق فى مقاضاتنا عن الأمور الخطيرة التى ارتكبناها ضدهم ؛ والتى لم ترتكبها حكومة من الحكومات من قبل ، إنهم يقاضوننا عن إغلاق كل حياة كريمة فى وجوه الأعلام منهم ، ويقاضوننا كذلك عن نظام التعليم الذى يجعل معظم مجتمعهم فى حضيض الجهل والبؤس ، ويقاضوننا أخيراً عن عدم المساهمة الفعالة فى ميزانية التعليم الخاص بهم » .

---

(١٠٢) Britain in India p. 65.

قســوة صليبية فى ملقا :

وبعد أن تحدثنا عن صورة من قســوة بريطانيا فى الهند نجىء لقسوة صليبية أخرى هى قسوة البرتغال فى ملقا ، وقــد دخلت البرتغال مينــاء ملقا باسم التجارة ، وسرعان ما اندفعت السفن الحربية تضرب المدينة الهادئة الآمنة ، وتقتل وتدمر ، واستطاعت القوة الغاشمة أن تسقط المملكة الإسلامية فى ملقا ، وأن تسيطر عليها فى أغسطس سنة ١٥١١ .

وقد دافع المسلمون عن ملقا بحرارة وحماسة ، ولكن الأسلحة الحديثة ، ومؤامرات بعض الهنادكة فى ملقا أدت إلى هزيمــة أهل ملقا ، وسقوط المدينة عنوة .

وحينئذ سمح البرتغاليون لمن ساعدوهم أن يخرجــوا ببضائعهم وثرواتهم فى أمــن وســلام ، وعندمــا لم يبق بالمدينة إلا أهلها من بنى الإسلام صدرت الأوامر بإطلاق النار على جميع من بالشوارع دون استثناء ، وأُذِن للمعتدين بسلب المدينة ونهبها ، وحلت بالمسلمين نكبات وويلات يعجز القلم عن وصفها ، ثم صدرت الأوامر بهدم المساجد ونبش قبور السلاطين لتبنى بأنقاضها كنائس الفاتحين وقلاعهم ، فكانت حملة صليبية قاسية .

وعقب ذلك بدأ إكراه الناس على الدخول فى المسيحية ، وإبادة من لا يستجيب لدعـوة المستعمر (١٠٣) .

تعاون الدول المسيحية لاستعمار الدول الإسلامية :

أما عن هذه النقطة الثانية فإن هناك معاهدات واتفاقات تاريخية ، كان أكثرها سرياً فى حينه ، وكلها تؤكد تعـاون الدول الغربية لاستعمار كل الدول الإسلامية من المغرب إلى أندونيسيا ، والعجيب أنه لم تسلم أية دولة إسـلامية من الاستعمار ، ولم يمتد الاستعمار لأية دولة مسيحية ، ولكن ذلك فى الحقيقة ليس عجيباً ، وإنمـا هو مظهر طبيعى للتعصب الصليبى .

ونورد فيما يلى نماذج للمعاهدات التى أشرنا لها :

ـ معاهدة ١٩٠٠ وهى اتفاقية سرية تعهـدت فيهـا الحكومة الفرنسية لإيطاليا باعتبار طرابلس وبرقة خارجتين عن منطقة نفوذهـا ، وإذا حدث تغيير فى وضع مراكش أمكن لإيطاليا التصرف بحرية فى هذه المنطقة (١٠٤) .

---

(١٠٣) دكتور محمد عبد الرءوف : الملايو : وصف وانطباعات ص ٨٥

(١٠٤) دكتور صلاح العقاد : المغرب العربى ص ٢٢٩

— عززت هـذه الاتفاقية باتفاقية أخرى سنة ١٩٠٢ اعترفت فيها إيطاليا بمصالح فرنسا فى مراكش ، واعترفت فرنسا بمصالح إيطاليا فى طرابلس [١٠٥] .

— اتفاق ٨ أبريل سنة ١٩٠٤ وهو اتفاق سرى أيضاً تم بين فرنسا وبريطانيا يقضى بإطلاق يد بريطانيا فى مصر ، وإطلاق يد فرنسا فى مراكش ، على أن يعطى الجزء الشمالى من المغرب لأسبانيا ، وأن يوضع نظام دولى لمنطقة طنجة .

— اتفاق ٣ أكتوبر من نفس العام بين فرنسا وأسبانيا وفيه أيدت أسبانيا الاتفاق السابق .

— ميثاق الجزيرة سنة ١٩٠٦ ، وقد ضم عدة دول هى بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا وأسبانيا والولايات المتحدة والمغرب ، وقد عقد بناء على طلب ألمانيا واحتجاجاتها على المعاهدات الثنائية السابقة ، ولكن فرنسا ظفرت فى هذا المؤتمر أيضاً وخسرت مراكش ، ويبدو أن تساهل ألمانيا كان نتيجة لأن أغراضها فى هذه المنطقة لم تكن عميقة ، وكانت فرنسا قد أعدت العدة فى جلسات

---

(١٠٥) محمود الشنقيطى : قضية ليبيا ص ٤٦

خاصـــة تحضيرية لتؤيدها الدول فى موقفها ؛ وكان لهـــا ما أرادت .

وقرر هـــذا المؤتمر أن توجـــد شرطة فرنسية لأمن الموانى ، وحظر على مراكش أن تستورد الأسلحـــة بدون إذن الدول المشتركة فى الميثاق ، وغـــير ذلك من النتـــائج الاقتصادية والسياسية التى كانت انتقاصاً لحقوق مراكش وتأييداً لامتداد نفوذ فرنســـا فيها (١٠٦) .

وقد اتخذ العدوان الغربى على الدول الإسلامية شكلا واحداً ، فقد كان سلسلة من القســـوة والتدمير ، كما كان هنا وهناك يحارب العلم ويشجع الخرافات والانقسامات .

وهل يمكن أن يتصور الإنســـان أن هولندا الصغيرة الفقيرة تستطيع وحدها أن تأتى من أقصى الشمال لتسيطر على أكثر من مائة مليون مسلم يسكنون آلاف الجزر التى تتكون منهـــا الآن إندونيسيا ؟ وهل كانت هولندا تستطيع وحدها ذلك لو تخلت عنها سفن بريطانيا وأسلحة أمريكا ؟ ولمـــاذا اشترط الحلفاء على اليابان عقب استسلامها ألا تسلم إندونيسيا للوطنيين ؟ وهل كانت هولندا تستطيع بعد الحرب

---

(١٠٦) د . صلاح العقاد : المغرب العربى ص ٢٤٦

العالمية الثانية أن تحلم حلمها الفاشل باستعادة السيطرة على إندونيسيا لو لم تؤيدها بريطانيا بقوة الحديد والنار ؟

والتعاون الصليبى لا يزال موجودا حتى الآن ، وهو يتمثل فى مقال رينتشارد نيكسون الذى نشر فى مجلة (Foreing Affairs 1985) وقد اقتبسنا منه سابقا احدى فقراته .

بقى علينا أن نورد بعض ملامح أخرى ترتبط بالاستعمار الغربى للدول الإسلامية وهذه الملامح هى :

١ ــ هناك دعوى واضحة البطلان يقولها المستعمرون ، وهى أن احتلالهم هذه البلاد كان يقصد إلى رفع مستواها ... والإجابة على ذلك سهلة يسيرة توضحها الحقائق الآتية :

كيف تركت انجلترا الهند والباكستان بعد احتلال دام حوالى ثلاثة قرون ؟

وكيف تركت السودان بعد أن احتلته حوالى ثمانين عاماً ؟

وكيف تركت هولندا أندونيسيا بعد أكثر من ثلاثة قرون ؟

وماذا كان حال ليبيا بعد الاحتلال الإيطالى ؟

ولماذا وعدت انجلترا أن تجعل من فلسطين وطناً قومياً لليهود ، ولم تخرج منها إلا بعد أن سلمتها لعصابة الصهيونيين ؟

٢ — يقولون إن السبب فى احتلال هذه البلاد هو تخلفها فى ميادين العلم والسياسة والاقتصاد ... ونحن نتساءل : هل مصر أكثر تخلفاً من الحبشة ؟

٣ — تحدث حروب بين الدول المسيحية بعضها والبعض الآخر لأسباب مختلفة كالحرب التى حصلت بين ألمانيا وإيطاليا من جهة وبين دول الحلفاء من جهة أخرى ، ولكن الملاحظ أنه على الرغم مما أنزله المحور بالحلفاء من خسائر فإن دول الحلفاء سرعان ما أنهت عداءها لدولتى المحور وأدخلت محل هذا العداء صداقة ومساعدات شاملة .

٤ — كانت تركيا موطن الخلافة الإسلامية ، وقد جعلها ذلك هدفاً لعداء الغرب المتصل القاسى ، وخلق منها « الرجل المريض » بل عملوا على أن يموت ذلك المريض ، فلما خلعت تركيا من دستورها كلمة

الإسلام فى عهد اتاتورك أمنت شر الغرب وأصبحت لــه من الأصدقاء .

إن الحركة الصليبية كانت قوية وعارمة عندما أخذت هذا المظهر الاستعمارى ، وقد نجحت هذه الحركة عندمـا سيطرت تمام السيطرة على العالم الإسلامى كله ، وفرضت الدول الغربية المسيحية هنا وهناك ، وفى سبيل التخلص منها وطردها دفعت الشعوب الإسلامية أغلى الدماء وفيضاً من الأرواح .

ولكننا نذكر أن الغرب المسيحى عندما أكره على ترك الشرق الإسلامى ، اتجه لاستعمار جــديد للدول الإسلامية عن طريق الاقتصاد أو الثقافة وتصــدى المسلمون لهــذا الاستعمار الجديد ، ولا تزال المعركة تدور .

١٥ — الحركة الصليبية

خلف زرع إسرائيل فى قلب العالم العربى والإسلامى

واضح جداً للذى يقرأ تاريخ فلسطين الحديث (وقيام دولة إسرائيل) أن الصليب هـو الذى أقام هذه الدولة ، وأن تخطيطاً طويلا صنعته الحركة الصليبية لتَهَبَ هذه المنطقة إلى إسرائيل ليس فقط من أجل اليهود بل من أجل الصليبيين وتحقيق أطماعهم ضد المسلمين ، وتحقيق أهدافهم بخلْق أشواكٍ تحول دونَ استقرارِ المسلمين وتقدُّمِهم .

وللتأكد من أن الحركة الصليبية هى التى أقامت إسرائيل نعود للتاريخ لنرى خطوات الصليبيين لتحقيق هذا الأمل :

فى سنة ١٩٠٧ تولى كامبل بنرمان رئاسة الوزارة فى بريطانيا ، وقد قام رئيس الوزراء بتشكيل لجنة مكونة من بعض علماء التاريخ ورجال القانون والسياســة ، ليس من بريطانيا وحدها وإنما من عدة دول أخرى ، ووجه «بنرمان» خطاباً إلى تلك اللجنة حدد فيه مهمتها وجاء فيه :

« إن الامبراطوريات تتكون وتتسع وتتقوى ، ثم تستقر إلى حدٍّ ما ، ثم تنحل رويدا رويدا ، وتزول ، والتاريخ مَلِيء

بمثل هذه الأمثلة ، وهى لا تتغير بالنسبة لأية امبراطورية أو أمة ، فهناك امبراطوريات روما وأثينا والهند والصين ، وقبلها بابل وآشـور والفراعنة وغيرها • فهل يمكن الحصول على أسباب أو وسائل تحول دون سقوط الاستعمار الأوربى وانهياره أو تؤخر مصيرة المظلم بعد أن بلغ الآن الذروة ، وبعد أن أصبحت أوربا قارة قديمـة استنفدت مواردها ، وشاخت معالمها ، بينما العالم الآخر لا يزال فى شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية » ؟؟

وقد ظل هؤلاء العلماء يبحثون ويتدارسون طيلة سبعة شهور ثم قدموا نتيجة أبحاثهم فى هيئة تقرير سرى خاص إلى وزارة الخارجية البريطانية وهاك مقتطفات منه :

« إن الخطر ضـد الاستعمار فى آسيا وفى إفريقية ضئيل ، ولكن الخطر الضخم يكمن فى البحر المتوسط ، فهذا البحر هو همزة الوصل بين الغرب والشرق •• وحوضه مهد الأديان والحضارات ويعيش فى شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوافر له وحـدة التاريخ والدين واللسان ، وكل مقومات التجمع والترابط ، هذا فضلا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية •

فماذا تكون النتيجة لو اقتبست هذه المنطقة الوسائل الحديثة ؟ وإمكانيات الثورة الصناعية الأوربية ؟ وانتشر التعليم بها ؟ وارتقت الثقافة ؟

إذا حدث ما سلف فستحل الضربة القاضية حتماً بالاستعمار الغربى ، وبناء على ذلك فإنه يمكن معالجة الموقف على النحو التالى :

١ — على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تقسيم هذه المنطقة .. وتأخرها ، وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل .

٢ — ضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقى فى هذه المنطقة عن الجزء الآسيوى . وتقترح اللجنة لذلك إقامة حاجز بشرى قوى وغريب . يحتل الجسر البرى الذى يربط آسيا بإفريقية ، بحيث يشكل فى هذه المنطقة ، وعلى مقربة من قناة السويس ، قوة صديقة للاستعمار ، وعدوة لسكان المنطقة .

وإتماما لهذه الدراسة التى ظهرت فى وثيقة بنرمان نضيف مجموعة من الحقائق المهمة مستقاة من أبحاث كبار

المؤرخين الغربيين الذين عنوا بشئون الشرق الأوسط أمثال سديو وكارل بروكلمان ، وهذه الحقائق هى :

أولا : إن موقع الدول العربية بالشرق الأوسط وبخاصة مصر وقناة السويس يشكل نقطة حيوية فى التخطيط الاستعمارى ، فعن طريق المنطقة يتم اتصال انجلترا بمستعمراتها فى الهند والشرق الأقصى وبأستراليا ، ويتم اتصال فرنسا بالهند الصينية ، والبرتغال بجوا ، وهولندا بإندونيسيا ومن هنا كانت مصر تمثل باب هذه المستعمرات .

ثانيا : انضمت أمريكا وكندا إلى هذا الاتجاه ، فأما أمريكا فقد دفعتها الصهيونية التى كانت ذات نفوذ كبير فى البيت الأبيض ولدى السلطات الحاكمة ، فأعلنت أمريكا أن عزلتها انتحار بطىء لها ، ولابد من ارتباط وثيق يربطها بأوربا ضد الخطر الشيوعى الذى يهدد الجميع ، وأنها لذلك تساند مستقبل لأوربا وتؤازر مخططها وتحمل أعباءها ، وأما كندا فقد كانت أكثر إحساساً بمشكلات الغرب وتفاعلا بسبب ارتباطها الوثيق بانجلترا .

ثالثا : يقول كارل بروكلمان إن الخبراء الإنجليز أكدوا النظرية التى طالما برهن التاريخ على صوابها وهى أن التحكم فى مصر لا يتم إلا من قاعدة سورية ، ومن هنا

أصبحت فلسطين وهى فى الأصل جزء من سوريا — ضرورية للسياسة الغربية •

رابعا : إن الاستعمار أو الانتداب أو الاحتلال أو غيرها من الاصطلاحات لا تفى بالمطلوب بالنسبة لهذا الموقع بالذات ، فحركات التحرر به لا تهدأ ، عرفها الفرنسيون إبان حملة نابليون وعرفها الانجليز إبان حملتهم على رشيد ، ومنذ وضعوا أقدامهم فى التل الكبير ، ومن أجل هـذا اتجهت الجهود إلى شىء آخر غير الاستعمار والاحتلال والانتداب بالنسبة لفلسطين ، ذلك هو استعمار الإبادة أو تحـويل فلسطين من بلد عربى إلى غربى على نحو ما تم فى استراليا ونيوزيلندا وأمريكا ، وعلى نحو ما يجرى الآن فى جنوبى إفريقية على أن يُتَّخَذَ الاستعمارُ والانتدابُ والاحتلال وسيلةً لهذه الغـاية •

وبدأ خبراء السياسة الغربيون ومعهم خبراء علم النفس وعلم الاجتماع يبحثون عن الوسيلة لذلك وسرعان ما اهتدى هؤلاء الخبراء إلى استغلال الدين لتحقيق هـذا الغرض ، ولعل المسيحية خطرت على بالهم ، ففى فلسطين ولد المسيح

وتربى ودعا قومه ، وبيت المقدس مزار المسيحيين منذ ذلك العهد ، ولكن هذه الفكرة لم تكن طويلة العمر ، إذ رئى أن الأخـذ بها سيكون عودة صريحة إلى الحروب الصليبية ، وسيحمل فى طياته أسباب الفشل •

واتجهت الأنظار إلى اليهود ، وفلسطين بالنسبة لهم مكان مقدس أيضاً ، ثم هم يعانون من الاضطهادات والتعذيب والتشرد ، وهم باحثون عن المـال ، والشرق الأوسط فيـه غنى ، وفيه تخلف صناعى مما يهيىء سوقاً رائجة لأية دولة صناعية تجارية تقوم به ، ولليهود بفلسطين صلة تاريخية ؛ صحيح أنها انقضت منذ عشرين أو خمسة وعشرين قرناً ، ولكن الخبراء اتخذوهم وسيلتهم على كل حال ، على أن يغلفوا اتجاههم باسم الإنسانية والرحمة لهؤلاء المعذبين المشردين (١٠٧) •

ويصرح الفرد مونت الانجليزى فى كتابه «الجار»(١٠٨) بقولـــه :

إننى أتطلع بلهفة إلى ذلك اليوم الذى تصبح فيــه

---

(١٠٧) تقرير بنرمان (وثائق بريطانية) .

(١٠٨) الفريد مونت : الجار ص ١٢

فلسطين وشرق الأردن وحدة ضمن الامبراطورية البريطانية ، وتشغل مركزاً مهماً فى جسم تلك الامبراطورية ، وتدافع عن هذه الوحدة عدة ملايين من اليهود الذين تربطنا بهم رابطة الود والإخلاص والمدنية .

وكانت فلسطين فى أكثر فترات التاريخ وبخاصة فى العهد الإسلامى تكوّن مع مصر دولة واحدة ، فلما جاء العثمانيون حرصوا على عزل فلسطين عن مصر وضموها إلى الشام الذى أحيوا له الاسم القديم (سورية) وكان هذا لإضعاف الجبهة المصرية التى كانت تمثل مركزاً قوياً دعا العثمانيين أن يحسبوا حسابه ، وظلت فلسطين جزءاً من سورية حتى سقطت الامبراطورية العثمانية ، فاستولت فرنسا على الجزء الشمالى من سوريا وجعلت منه سوريا ولبنان ، واستولت بريطانيا على الجزء الجنوبى وجعلت منه إمارة شرق الأردن وفلسطين .

والتقت حول فلسطين مصالح الصهيونيين مع مصالح الاستعمار الانجليزى ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فكانت فرصة ذهبية للصهيونيين ، وأصبح انتصار الانجليز على

الأتراك نقطـة الأمل عنـد الصهاينة ، وبينما كان الانجليز يستدرون عطف العرب ، ويقـدمون لهم العهود والمواثيق لتحقيق استقلالهم كاملا بعد الحرب ، كانت المؤامرة الدنيئة تنسج خيوطها بين اليهود والانجليز ، وفى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ أعلن وعد بلفور المشئوم ونصه :

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامـة وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى ، وسوف تبذل أقصى جهودها لتسهيل هذه الغاية ، على أن يفهم جلياً أنه لا يجوز عمل شىء قد يضر بالحقوق المدنية والدينية التى للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ، ولا الحقوق ولا المركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى أى بلد غيرها •

ويعترف وايزمان فى مذكراته أنه هـو الذى كتب بيده هذه الوثيقة بناء على طلب اللورد بلفور •

واتجهت انجلترا بكل قواها إلى أن يتم لها الانتداب على فلسطين لتنفذ ما وعدت به ، ولم يكن ذلك عسيراً عليها • فإن القوى الغربية الصليبية بعصبة الأمم كانت تشارك انجلترا نفس الشعور والعجيب ان اليهود سرعان ما تنكروا لهذا

العطف الصليبى ولذلك يقول وايزمان فى مذكراته بصلف وكبرياء : **نحن اليهــود الصهيونيين كنا نسعى لإقامة دولة لنـــا بفلسطين ، وقد انتدبنا الانجليز لحكمها ، واستعنا فى هــذا بعصبة الأمم ، فنحن الذين سلمنا فلسطين للانجليز مؤقتاً ، وليس الإنجليز هم الذين وهبوها لنا بعد ذلك •**

وكان مدلول الانتداب أنه أمانة ينتهى أجلها عندمــا يصبح السكان قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم ، وقــد برهن الشعب العربى بعد فترة قصيرة على هــذه الصلاحية فاستعاد بعض حقوقه السياسية بســوريا ومصر والعراق متمثلة فى الحــكم الذاتى ، وطالبت فلسطين بمثل هذا الحق ، وذكر المتحدثون باسم فلسطين أنها ليست أقل تطــوراً من البلدان العربيـــة الأخرى ، وقد أجاب تشرشل على هــذا بقوله فى صراحة : إن المســألة ليست هى أن الشعب العربى فى فلسطين أقل تقدماً من جيرانه ، ولكن تشكيل حكومــة وطنية بفلسطين سيحــول دون تنفيــذ العهد الذى قطعته الحكومة البريطانية للشعب اليهودى بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين •

ويقول الدكتور وايزمان فى مذكراته :

لقد احتضنت بريطانيا حركة الصهيونية منذ نشأتها ، وأخـذت على عاتقها تحقيق أهدافها ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب لليهود فى سنة ١٩٣٤ م ولولا الثورات المتعاقبة التى قام بهـا عرب فلسطين لتم إنجاز هذا الاتفاق فى الموعد المذكور (١٠٩) .

وعقب الانتداب اختارت بريطانيا السير هربرت صموئيل اليهودى ليكون أول مندوب سام لها فى فلسطين ، وأطلقت يده لاتخاذ ما يراه من إجراءات فى البلاد ، ويعترف وايزمان فى مذكراته بأنه هـو الذى اقترح على الحكومة البريطانية تعيين هربرت صموئيل ، وقد بادر هربرت بأن أسس الإدارة المدنية بفلسطين من اليهود أو من أنصاف اليهود ، واعتبر اللغة العبرية لغـة رسمية بالإضافة إلى اللغـة الإنجليزية والعربية ، وسلم اليهود جميع وسائل الصناعة ، وجعلهم مشرفين على التربية ، ومهـد لخلق إمارة شرق الأردن فى مارس سنة ١٩٢١ ، بالاجتماع الذى رتبه بين الأمير عبد الله

---

(١٠٩) مذكرات وايزمان ص ٢٥

والمستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك حين زار القدس ، وكان الهدف من خلق هـذه الإمارة هو إيجـاد حاجز من الموالين لبريطانيا يحمون الوطن القومى لليهود من هجمات الثوار العرب [١١٠] .

وعمل هربرت على إغراق البلاد بالمهاجرين اليهـود ، ويسرت الإدارة البريطانية لهم سبل الحياة ومنحتهم أرض « الميرى » وأقامت لهم الدور والمصانع ، وألحقتهم بجيشها ليتم تدريبهم على استعمال أحدث الأسلحة ، وفى سنة ١٩٤٤ كونت فى جيشها فرقة يهودية أسمتها The Jewish Brigade وأمدتها بالسلاح والذخيرة ، فكانت جيشاً رسمياً أصبح فيما بعـد نواة جيش إسرائيل ، وفى نفس الوقت أثقلت كاهل العرب بالضرائب ، وسلبت منهم أرضهم بطريق أو بآخر ، وقصرّت فى مدّ أرضهم بما تحتاج إليه من المياه ، ودفعت ملاك الأرض غير الفلسطينيين ليبيعوا أملاكهم لليهـود ، وحرّمت على العرب المهاجرين العودة إلى فلسطين ، وحرّمت على العرب حمل السلاح أو امتلاكه .

---

(١١٠) عبد الله التل : خطر اليهودية ص ٢٦٣

ونقطة أخرى خطيرة كالسابقة يشرحها وايزمان متصلة بشخصية لورانس الإنجليزى الذى تظاهر بصداقة العرب وخدع بعضهم ، وهو فى الحقيقة عريق الصلة بالصهيونية ، يقول وايزمان : ويقضى علىَّ الواجب وأنا أبحث تاريخ العلاقات بين العرب واليهود ، أن أثنى أعظم ثناء على الخدمات التى قدمها « لورانس » للقضية اليهودية ، لقد عرفت لورانس وقابلته مرات عديدة فى مصر ، وقد كان يتردد بعد ذلك على منزلى فى لندن من غير رسميات ولا كلفة ، وكان موقف لورانس من الصهيونية موقفاً إيجابياً ، لا شك فيه ، وكان من الخطأ البالغ أن الكثيرين كانوا يتصورون أن لورانس عدو الصهيونية بحكم أنه كان (صديقاً) للعرب[١١١].

وسرعان ما ارتفع رقم اليهود بفلسطين ارتفاعاً كبيراً عما كان عليه عند احتلال بريطانيا لفلسطين حتى نافس عدد العرب ، وقد جاء فى تقرير اللجنة الملكية البريطانية سنة ١٩٣٧ ما يلى « وما جاءت سنة ١٩٣٦ حتى كان الوطن القومى اليهودى قد نما وأصبح شيئاً يشبه حكومة داخل الحكومة ،

---

(١١١) مذكرات وايزمان ص ٤٥ — ٤٦

فالطائفة اليهودية قد بلغت أربعمائة ألف شخص وكانت خمسة وأربعين ألفاً سنة ١٩١٨ ، ولها عاصمتها « تل أبيب » وعلمها الوطنى ، ونشيدها القومى ، ونظامها الثقافى ، ولها شبكة من المصالح الاجتماعية والاقتصادية ، وترتبط هذه الطائفة باليهودية العالمية بوساطة الوكالة اليهودية ، بينما تدار شئون الجماعة الداخلية بواسطة مجمع وطنى أو مجلس ملى ، ومجلس ربانيين ، وإننا نرى أن الدولة المنتدبة قد قامت حتى الآن خير قيام بإنشاء الوطن القومى لليهود بفلسطين (١١٢) .

عض اليد التى أحسنت :

ويبدو أن النشاط الإنجليزى لخدمة الصهاينة توانى أحيانا بسبب الضغط الذى كانت بريطانيا تتعرض له من العرب والمسلمين ومن الضمير العالمى ، ولكن اليهود لم يغفروا للإنجليز هذا التوانى ، بل ثاروا عليهم كلما ظهر منهم التوانى فى خدمتهم ، فأوقع الإرهاب الصهيونى بالإنجليز ألواناً من البلاء ، فدمروا منشآتهم ونسفوا دورهم وقاطراتهم ،

---

(١١٢) تقرير اللجنة الملكية البريطانية .

وقتلوا كل من تحوم حوله شبهة التوانى فى خدمة الصهيونية ، وبلغت أستهانتهم بالسيد الذى رباهم وآواهم أن شنقوا رجال البوليس على قارعة الطرق ، وأعلن بن جوريون أن الوكالة اليهودية لن تستطيع أن تساعد فى وقف هذا الإرهاب • واضطر الانجليز أن يحنوا الراس وأن يعودوا لمسالمة اليهود ومساعدتهم •

قيام إسرائيل :

ووصلت إنجلترا إلى الخطوة النهائية لتهويد فلسطين فاخترعت فكرة التقسيم وأيدت التقسيم ، واستعملت هى وحليفاتها كل نفوذهم المادى بهيئة الأمم المتحدة ، حتى حصلوا على الأغلبية العددية بالنسبة للذين أعطوا أصواتهم وأعلنت بريطانيا أنها ستنسحب من فلسطين فى الخامس عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٨ ، وكانت فى جميع المستعمرات ترفض الانسحاب ، وفى هذا الموعد سلمت بريطانيا البلاد لليهود بعد أن اطمأنت إلى أنهم قوة يمكن أن تستولى على الحكم ، وتصدت الدول العربية للدفاع عن عروبة فلسطين وخاضت من أجل ذلك حرباً ضد اليهود ، ورجحت كفة العرب

فى الجولة الأولى ، فتدخل النفوذ الاستعمارى وأرغم العرب على إيقاف القتال مدة محددة بحجـــة التفاهم ، وفى خلال هـــذه الهدنة تدفقت الأسلحة الغربية على اليهود ، كمـــا انهـــال المتطوعون الغربيون ، مما ضمن لليهـــود النصر فى الجولة الثانية ، وكان من الأخطاء العربية الجسيمة أن تركت القيادة العامة لجيش الأردن الذى كان قائده « جلوب باشا » انجليزياً يخدم أهداف بلاده قبل كل شىء .

وقامت دولة إسرائيل ، وأسرعت أمريكا فاعترفت بها ، واعترفت بها روسيا فى نفس اللحظة ، ثم دول الغرب ، وأخرجت إسرائيل العرب من ديارهم ، وسلبت ممتلكاتهم ، وألقت بهم لاجئين خارج وطنهم ، يعيشون فى خيام ، أو ينزلون صفر اليدين بالبلاد العربية ، ورفضت إسرائيل أن تصيخ لقرارات هيئة الأمم المتحـــدة بإنصـــاف اللاجئين ، وكان الصليبيون مع إسرائيل فى كل الحركات التى قامت بها ضد المسلمين والعرب .

وتولت الولايات المتحدة كبر هذا التصرف ، وحملت أكبر العبء فى تدليل الصهاينـــة والوقوف معهم وخلفهم ،

وبلغت الولايات المتحدة فى ذلك مدى يثير اشمئزاز الناس جميعاً وليس اشمئزاز المسلمين وحدهم ، لأنه فى مبالغاته يظهر بمظهر الجهل والخبل ، فإذا ضربت الطائرات الصهيونية المفاعل الذرى بالعراق أسرعت الولايات المتحدة بتأييد ذلك التصرف ، وإذا ضربت الطائرات الصهيونية بعض مناطق تونس أسرعت الولايات المتحدة فأعلنت رضاها وغبطتها بما فعلته إسرائيل ، وإذا أصدر مجلس الأمن قراراً ضد إسرائيل ارتفعت يد « الفيتو » الأمريكى فألغت هذا القرار .

وحتى فى القرارات السلمية البسيطة تقف أمريكا معارضة أية قرارات لا ترضى الطفل المشاغب الذى يراد له أن يظل مصدر قلق واضطراب فى المنطقة ، ولأعطى مثالا واحداً لذلك أنقل للقارىء ما نشرته صحف القاهرة فى ١٤/١٢/١٩٨٥ وهو كالآتى :

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية كبرى على قرار يدعو لعقد مؤتمر دولى لإقرار السلام فى الشرق الأوسط . ودعا القرار الولايات المتحدة وإسرائيل إلى إعادة النظر فى معارضة عقد مثل هذا المؤتمر . كما طالب القرار أن

يضم المؤتمر الدولى — لحل المشكلة الفلسطينية التى هى أساس النزاع فى الشرق الأوسط الدول الخمس الدائمة فى عضوية مجلس الأمن ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وقد وافقت على القرار ١٠٧ دول بينما امتنعت ٤١ دولة عن التصويت وعارضت ٣ دول فقط هى الولايات المتحـدة وإسرائيل وكندا .

كما عارضت أمريكا ٣ قرارات تتعلق بالقضية الفلسطينية وتدعو إلى حشد الطاقات الدولية لدعم الشعب الفلسطينى .

أما عن المعونات الاقتصادية الأمريكية لإسرائيل فقد فاقت كل تقدير ، إنها فيض من العطاء جعل الإنسان الصهيونى فى إسرائيل أحسن حالا من الإنسان الأمريكى فى نيويورك فى كثير من الأحوال ، وإذا تآمر إسرائيلى مع أمريكى وعرفت إسرائيل عن طريق هذه المؤامرة بعض أسرار أمريكا ، كان العفو سريعاً لأن الأسرار لم تنتقل إلى غريب .

وإذا قتل كنيدى وهو رئيس الولايات المتحدة ، واتهم إسرائيلى بقتله أو التدبير لذلك سرعان ما يسدل الستار على الحادث ، وتبتلع أمريكا مرارته .

وعندما قامت الحرب بين مصر وإسرائيل سنة ١٩٧٣ وحققت مصر بعض التقدم واستردت بعض أرضها « وليسمح لى القارىء أن أكرر هذا التعبير « بعض الأرض المصرية » » عندئذ صرخت جولدامائير للولايات المتحـــدة بكلمة مروعة تدل على مدى خطورة الوضع ، وهذه الكلمة هى : « أنقذونا فالزلزال أوشك أن يبتلع إسرائيل » وسرعان ما هبت أمريكا بكل قواهـــا وجبروتها ، تهـــدد وتزمجر ، وتندفع أسلحتها وخبراؤها كما لو كانت إحدى الولايات الأمريكية قد هوجمت ٠

ومثل هـــذا كثير وكثير فعندما طالبت الجمعية العامة بفرض العزلة على إسرائيل لأنها لا تحترم قرارات الأمم المتحدة ، لم توافق الدول الصليبية وبخاصة أمريكا على هـــذا القرار ٠

وفى كلمة موجزة ، لقـــد لعب الصليب دوراً هائلا فى التخطيط لقيام إسرائيل ، وفى تنفيذ التخطيط ، وفى حراسة إسرائيل بعد أن قامت ، إن إسرائيل حلقة مهمة من حلقات الحركة الصهيونية ، حركة حية الآن ، وإن كان الأمل كبيراً

أن تنهار وتختفى كمـــا انهارت واختفت الحركات الصليبية الأخرى .

ونختم هذه الدراسة باقتباس سـبق أن أوردناه من مذكرات وايزمان وهو : إن الكنيسة قدمت لنا أكبر المساعدات ونحن نقيم دولة إسرائيل [١١٣] .

تعاون صليبى جديد لدعم إسرائيل :

اجتمع جوربا تشوف زعيم الاتحاد السوفييتى مـع ريجان رئيس الولايات المتحدة فى جنيف فى نهاية عام ١٩٨٥ ، وأهم قرار اتفق عليـه الزعيمان الكبيران ، **أو قُلْ** المطلب الوحيد الذى طرحه الأمريكيون هو هجرة اليهود السوفيت لإسرائيل ، والذى تؤكد كل المصادر انه سيكون — من ناحية العدد والأهمية — يمثّل الخروجَ الثانى بعد خروجهم من مصر زمن موسى عليه السلام . وأغرب ما تم الاتفاق عليه هو ما نشرته مجلة التايم الأمريكية ، فى عددها الصـادر فى ٣٠/١٢/١٩٨٥ ، عن شحن هـؤلاء اليهـود مباشرة إلى

---

(١١٣) مذكرات وايزمان وقد ذكرناها فيما سبق .

إسرائيل أى تسليمهم يدا بيد للحكومة أو النظام الإسرائيلى ، دون اعطائهم حق اختيار البلد الذى يهاجرون إليه أو حق الإفلات من المشروع الاستيطانى الصهيونى ، وقالت المجلة الأمريكية بالحرف الواحد : « إن هذا التنظيم يقصد به منع تسرب أى مهاجر يهودى لبلد غير إسرائيل » !

ويعلق الأستاذ جلال كشك على هذه الصفقة بقوله : إنها أضخم صفقة « عبيد » دبرتها دولة تدعى رعايتها لحقوق الإنسان تلك الحقوق التى فى مطلعها حق الهجرة وحق اختيار الوطن • ويذكر كذلك أنه قد جرت المفاوضات لهذه الصفقة قبل مؤتمر جنيف ، بل وكشرط له ، بواسطة «ادنمار برونفمان» رئيس المؤتمر اليهودى العالمى ، الذى نقل للروس تصريح شيمون بيريز : « إن مصلحة روسيا ومصلحة إسرائيل هى قصر هجرة اليهود الروس على إسرائيل » وتحقيقا لذلك فقد اتفق على إقامة جسر جوى بين روسيا وإسرائيل عبر بولنـــدا •

فرنسا تقدم نصيبها فى هذه المؤامرة :

ومما يذكر ان فرنسا تبرعت بالطائرات التى ستعمل على هـــذا الجسر لشحن يهود روسيا إلى إسرائيل (من الباب للباب) •

إسرائيل وحلف الأطلنطى :

المحيط الأطلنطى أو المحيط الأطلسى معروف مكانه على خريطة العالم ، إنه ذلك المحيط الهائل الـذى يقع بين أوربا وغربى افريقية من جانب ، وبين أمريكا من جانب آخر ، وقد شاءت السياسة أن تتخذ من هذا الموقع وسيلة لعمل معاهدة بين دول أوربـا وبين الولايات المتحـدة هى Atlantic Pact والناظر إلى خريطة العالم يجد إسرائيل بعيدة كل البعد عن هذا المحيط ، ولكن السياسة الأمريكية الظالمة والمنحازة اتجهت لربط إسرائيل بهذه المعاهدة ؛ فقد أعلن ريجان رئيس الولايات المتحدة حديثا (فى أغسطس سنة ١٩٨٦) أن إسرائيل ستحصل على مكانة حليف غـير عضو فى حلف شمال الاطلنطى •• ومعنى هذا أن إسرائيل ستحصل على كل ما تريده من السلاح الأمريكى وبنصف ثمنه ، بالاضافة إلى تسهيلات ومـزايا عسكرية واستراتيجية عديدة • وبديهى أن هذا السلاح لن يوجه لصدور الثوار فى السلفادور ، ولا لمحاربة الالحاد فى روسيا وفى نفس الوقت هناك تأكيد جديد من وزير الخارجية الأمـريكى شـولتز بأن إسرائيل هى نقطـة الارتكاز فى استراتيجية لأمريكا لحماية مصالحها فى الشرق الأوسـط ، وان العلاقات بين أمريكا وإسرائيل لم تكن فى يوم من الأيام بمثل القـوة التى هى عليها اليـوم ، وأن ما يشغل الوزير

الأمريكى الآن هو إقامة إطار تنظيمى لهذه العلاقة يقوم على مؤسسات ثابتة ووثائق ملزمة .. حتى لا يستطيع أى وزير جديد للخارجية أن يدخل أية تعديلات على هذه العلاقة التى أصبحت وستظل استراتيجية من الآن والى الابد . ولم تقنع الولايات المتحـدة بذلك بـل بذلت الجهـد لتعيد العلاقات الديبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى وإسرائيل .

وهـكذا تلتف كل القـوى لحماية إسرائيل ، وخدمة مصالحها ، وتقويتها ، والعرب المسلمون لاهون ، أو مشغولون بصراعات داخلية !!

إنها مؤامرات صليبية جديدة يقصد بها تقوية إسرائيل وعونها على ما تقوم به فى المنطقة من اضطراب يشفى غليل الصليبيين .

١٦ — الحركة الصليبية

تتعاون مع الصهيونية لخلق أندية تنفث السم بالعالم الإسلامى كالماسونية والروتارى والليونز

فى كتابى « اليهودية » (١١٤) خصصت الباب السادس للحديث عن « اليهود فى الظلام » وسردت فى هـذا الباب ما يوقعه اليهود بالعالم من مصائب خفية ، تنهش العظام وتعرقل الفكر دون أن يعرف الكثيرون مصدرها ، لأن اليهود أعداء الإنسانية وقد كانوا أعـداء لأنبيائهم يكذّبون فريقاً ويقتلون فريقاً •

وفى ذلك الباب تحدثت بإفاضة عن القضايا الآتية :

١ — **الإثارة وبث الفتن** ، ونقلت ضمن ما نقلت قول Lowis Daste : نصادف فى كل التغييرات الفكرية الكبرى تقريباً عملا يهودياً سواء كان ظاهراً واضحاً أو خفياً مستتراً ، فالتاريخ اليهودى يظهر فى التاريخ البشرى مرتبطاً بآلاف الدسائس •

---

(١١٤) اقرأ الباب السادس من كتاب اليهودية للمؤلف .

٢ — **خلف وسائل الإعلام** ، ونقلت فى هذا المجال ضمن ما نقلت قولهم : اكتسبنا عن طريق وسائل الإعلام قوى ذات نفوذ ، فى الوقت الذى احتجبنا فيه وراء الظلال •

٣ — **التجسس** ، وخيوطه ممتدة عبر التاريخ ، وهــو يحدث ضد الجميع ، وليس لليهود صديق ينجو من تجسسهم عليــه •

٤ — **التستر خلف أديان أخرى** ، ليقوموا بتدمير هذه الأديان من الداخل إذا صعب عليهم مقاومتها من الخارج ، فراحــوا تبعاً لذلك يتظاهرون باعتناق البوذية والمسيحية والإسلام لهدف واحــد هو التمكن من محاربتها دون أن يتعرضوا لكشف أسرارهم •

٥ — **التآمر والاغتيال** ، وقد أوردت من ذلك عدة أمثلة •

٦ — **مؤسسات وأنديــة الروتارى والليونز** علــى أن أعظم ما وقفت عنــده هــو التعــاون الكبير بين الصليبيين والصهاينــة لخلق مؤســســات وأنديــة تنفث الســم فى المجتمع الإسلامى وذلك كالمــاسونية والروتارى والليونز ، وهى جمعيات خداعــة توهم بتقــديم بعض الأنشــطة

الاجتماعية ، وتقدم فعلا شيئا ضئيلا منها لتصل من ورائها إلى صور من الخيانات والدسائس والمؤامرات ضد الأوطان والإنسان فى عالمنا الإسلامى •

وتذكر الوثائق ان هذه المؤسسات قد أسسها اليهود ، (بول هارف وإيلينوى) وأنهـا بدأت فروعا للماسونية ثم استقلت لتعمل عملها ، وأن اليهودى (شرى برى) سـاعد بنفوذه وأمواله وتنظيمه على انتشارها • ومركزها الحالى « شيكاغو » بأمريكا حيث يعظم النفوذ الصهيونى •

ويهتم المشرفون على هذه المؤسسات بجمع الأموال من اليهود ليتخذوا هذه الأموال وسيلة لتنفيذ مخططاتهم بتقديم بعض المعونات الغذائية أو الطبية أو سيارة إسعاف فى حالات الأزمات أو الحروب ، ليصلوا عن طريق هذه المعونات التافهة إلى تحقيق أغراضهم •

ومن تعـاون الحركـة الصليبية مـع الصهيونيـة أن الحفلات الضخمـة التى تقـام بالفنادق الكبرى التى تشرف عليها قيادات صليبية ، تكون بأقل الأسعار أو بأسعار رمزية ، وأن الرحلات الداخلية والخارجية التى تقوم بهـا هذه الأندية تكون بتكاليف زهيدة فى الطائرات والفنادق التى سيستعملها الأعضاء ، وكل ذلك لجذب المخدوعين لهذه الأندية

التى تتكاتف الحركة الصليبية مـع الصهيونية فى تأييدها ورعايتها .

والعجيب أن وزير الداخلية المصرى (سابقا) اللواء عبد العظيم فهمى قرر أن اليهود هم أول من أنشـأ ناديا للروتارى بمصر ، وكانت تحوم حوله الشبهات ، وأن وزارة الداخلية قررت فى عهده إغلاق هـذا النادى ، ومع هـذا فـلا تزال أندية الروتارى موجودة بمصر وبغير مصر من البلاد الإسـلامية .

وقد أصدر المؤتمر الإسلامى العالمى قراراً واضحاً بعد دراسـة مستفيضة ضـد الماسونية والروتارى والليونز وأمثالها من المؤسسات التى تتنكر فى ثوب اجتماعى لتدمر المجتمع وتنال منه ، وفيما يلى نص هذا القرار :

« الماسونية جمعية سرية هدامـة لها صـلة وثيقة بالصهيونية العالمية التى تحركها وتدفعها لخدمة أغراضها ، وتتستر تحت شعارات خداعة كالحرية والإخاء والمساواة وما إلى ذلك مما أوقع فى شباكها كثيراً من المسلمين ، وقادة البلاد وأهل الفكر ، وعلى الهيئات الإسلامية أن يكون موقفها من هذه الجمعيات السرية على النحو التالى :

١ — على كل مسلم أن يخرج منها فوراً .

٢ — تحريم انتخاب أى مسلم ينتسب لها لأى عمل إسلامى .

٣ — على الدول الإسلامية أن تمنع نشاطها داخل بلادها وأن تغلق محافلها وأوكارها .

وتعامل كل من النوادى التالية معاملة الماسونية : نادى الروتارى — نادى الليونز — حركات التسلح الخلقى — إخوان الحرية (١١٥) .

وبعد هذا الإيضاح من الدراسات العالمية ، ومن وزير الداخلية بمصر ، ومن المؤتمر العالمى الإسلامى لم تبق حجة أمام أى مسلم وأى مصرى للانضمام لهذه الجمعيات المشبوهة .



وبعد أيها القارىء المسلم ، أرجو أن تتدبر أمرك وأمر وطنك وأمر أولادك ، فإن الخطر الصليبى والصهيونى يحيط بنا ، وهو خلف ما نعانيه من أمراض ، وهو الذى يدفع

---

(١١٥) قرار المؤتمر الاسلامى العالمى .

السموم البيضاء وكل أنواع الخمور والمخدرات لينال من شبابنا وليقوض نشاطنا •

فافتح قلبك وعينك أيها القارىء المسلم لما يحاك لك وما يدبر فى الخفاء وفى العلن •

إن الصليبيين لا ينسون ما أوقعه شبابنا بقواتهم فى موقعة حطين وفى غيرها من المواقع ، والصهاينة لا ينسون القتل والأسر الذى نزل بهم فى أكتوبر سنة ١٩٧٣ ولذلك يتجه هؤلاء وأولئك للنيل من الشباب الذى هو عدة الوطن ومركز الذود عنه وحمايته •

لقد قامت الحركة الصليبية مع مطلع الإسلام ، ولاتزال تعمل للنيل من المسلمين عبر هذه القرون الطويلة ، وساعدها الصهاينة فى العصر الحديث ، ولكن الله معنا ، ويوم نخلص لديننا ولمجتمعنا سيكون لنا النصر المؤزر إن شاء الله « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » •

(صدق الله العظيم)

١٧ ــ الحركة الصليبية

خلف الحرب بين العراق وايران

النفوذ العالمى للقوى الكبرى :

فى سنة ١٩٥٦ أممت مصر قناة السويس ، فاهتزت السياسة العالمية وبخاصة بريطانيا وفرنسا فقد كانتا تريان فى قناة السويس مصــدر مال ونفوذ لهما ، ولنترك قناة السويس بسرعة لنذكر أن هاتين الدولتين اتفقتا مع العدو التقليدى لمصر وللمسلمين وهو إسرائيل ، وهاجمت الدول الثلاث مصر ، واحتلت سيناء ومنطقة القناة •

ولم تكن هذه الدول قد استأذنت الولايات المتحدة فى هــذا الهجوم ، ولذلك سرعان ما زمجر صــوت الولايات المتحدة ، وصدرت الأوامر السريعة لهذه الدول أن تخرج من مصر ، وأن يكون ذلك بسرعة وبدون تردد •

لم تكن الولايات المتحدة تحب مصر أكثر من حبهــا لإسرائيل أو لبريطانيا أو فرنســا ، ولكن الولايات المتحدة أرادت أن تعلم الذئاب والثعالب أنه ليس لها أن تتصرف فى الغابة بدون إذن الآســاد •

وفى شهور لم تصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة جلت قوات المعتدين .

وفى حرب ١٩٧٣ بين مصر والصهاينة تحركت الولايات المتحدة والعالم الغربى كله لإيقاف الحرب بسرعة حتى تم لهم إيقافها .

واتفقت كوبا مع الاتحاد السوفيتى على أن يزرع السوفييت بعض الصواريخ فى الأراضى الكوبية ، وقام الاتحاد السوفيتى بالاستجابة وبتنفيذ هذه الرغبة ، وزرعت الصواريخ ، وتركتها الولايات المتحدة حتى تم زرعها ليكون تدخلها أبلغ فى النكاية .

وعندما تم كل شىء زمجرت الولايات المتحدة وأمرت بفك الصواريخ وترحيلها فوراً ، وسرعان ما ذهب المهندسون والعمال السوفييت إلى هذه الصواريخ وفكوها وحملوها على البواخر وعادت أدراجها إلى الاتحاد السوفيتى .

وكان للاتحاد السوفيتى عميل يحكم أفغانستان اسمه حفيظ الله أمين ، وهو سفاح قاس كانت شهوته فى إراقة الدماء ، ومع هذا يبدو أنه توانى عن إعلان ولائه

للاتحاد السوفيتى فركله السوفييت ، وأيدوا حركة قام بها عميل جديد هــو بابراك كارميل ، وتدفقت القوات السوفيتية إلى أفغانستان ، وسقط حفيظ الله وأعدمته القوى الجديدة •

ومثل هذا حدث فى اليمن عندما توانى رئيسها السابق على صالح فى إبراز الولاء الكامل والسير فى الخط المرسوم لــه ، فأوعز السوفييت لرئيس اليمن السابق عبد الفتاح إسماعيل أن يقوم بثورة ضد على صالح ، وسقط نظام على صالح وقام باليمن نظام جديد •

والأمثلة على هــذا النوع كثيرة ، فلا شك أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يستطيعان إشعال حرب ، أو إيقاف حرب عندما يكون ذلك لصالحهما فى حالة الإشعال أو الإيقاف •

وفى « كلمات » التى نشرها الأستاذ محمود عبد المنعم مراد بصحيفة الأخبار يوم ١١/٨/١٩٨٦ يقــول : يقال إن إن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى تفكران فى الاتفاق على وضع حد للحرب العراقية الإيرانية ، ولو صدقت نياتهما لاستطاعتا أن تفرضا الحل فى خلال شهر واحــد على الأكثر •

وقد اعترف العالم وفى قمته مجلس الأمن بنفوذ الدول الكبرى عندما منحها « الفيتـــو » للقضـــاء على أى قرار تعترض عليـــه دولة كبرى ، والدول الكبرى التى تستمتع بالفيتو خمس ، ولكن الحياة تغيرت ولم يبق يستمتع بالقوة الفعلية إلا الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، ويضاف لهما الصين بتعدادها الرهيب •

وهذه الصـــورة ترينا بوضوح أن فى إمكان الولايات المتحدة أن توقف الحرب بين إيران والعراق بكلمة واحدة ، فإن لم تستجب الدولتان لهذه الكلمة اتجهت الكلمة بحزم إلى تجار السلاح للكف عن بيع السلاح للدولة التى تتمرد على صرخة الأســـد •

قد يخطر بالبال أن إيران احتجزت الرهائن الأمريكيين مدة ووقفت الولايات المتحدة مكتوفة اليدين ، والإجابة أن الدم الأمريكى ثمين جـــدا على الأمريكان ، وما كان لأمريكا أن تصدر قرارا قد يتسبب عنه ضحايا أمريكيون •

ومثل هذا يقال عن الاتحاد السوفيتى ، فهو يستطيع أن يوقف هذه الحرب بسرعة هائلة لو أراد •

وكذلك يستطيع مجلس الأمن بإيعاز من القوى الكبرى

أن يصــدر أمــرا بإيقاف الحرب ووضع قوة محايدة بين المتحاربين •

ولكن لمــاذا يهتم الاتحــاد الســوفيتى أو الولايات المتحدة بإيقاف هذه الحرب ؟

إن ظروفا طيبــة أشعلت حربا ضروســا بين دولتين مسلمتين وهو هدف حبيب للصليبيين أن يقتل المسلم أخاه المســلم ، فكل من العراق وإيران تعتبر فى مركز الحليف للدول الصليبية ، ويقوم هذا الحليف بنشاط عسكرى عظيم عندما يقتل المسلمين ، ويدمر المــال الإسلامى ، ويضعف الجبهة الإسلامية ، وذلك هدف موروث للصليبيين ، عرفوه من أيام صراع الأندلس حيث كان المسلمون يحارب بعضهم بعضا ، ولم يكن دور الفرنجــة إلا تقديم السلاح والأموال والعون لهؤلاء وأولئك ، وكان الفرنجة يقولون عن جيشى المسلمين إن كلا من هذين الجيشين يعمل لصالحنا ويحارب أعداءنا •

إن الصليب يلعب دورا خفيا على بعض الناس وواضحا عند بعضهم فى هــذه الحرب التى عاشت حتى الآن ست سنوات أى مدى يماثل الحرب العالمية الثانية ، وقــد قال الرئيس محمد حسنى مبارك فى خطابه فى عيد العمال (أول

مايو سنة ١٩٨٦) إن العدوان على لبنان والعراق يأتى فى إطار مؤامرة كبرى لها أبعادها الخارجية ٠

ولا شـك أنه لولا السـلاح الذى يورده الصليبيون للعراق تارة ولإيران أخرى ، ولولا المـال والتأييد المعنوى والخبرات ٠٠٠٠ التى تقدمها دول الصليب بطريق مباشر أو غير مباشر ، لولا ذلك لتوقفت الحرب منذ أمد طويل ٠

وليست هذه الأقوال استنتاجية ، بل إنها أقوال موثقة ، فقد نشرت الأهرام فى ١٨/٥/١٩٨٦ أن مسئولا إسرائيليا بوزارة الدفاع أكد أن بلاده باعت قطع غيار وأسلحة لإيران وأن الولايات المتحدة كانت على علم بهذه المبيعات ٠

ونشرت الأخبار فى ١٣/٥/١٩٨٦ أخبارا عن أحداث مفصلة لصفقة أسلحـة أمريكية إلى إيران ، بيعت لها عن طريق بعض الصهاينة ، وتشمل هـذه الصفقـة طائرات فانتوم ، وسـكاى هـوك ، وطائرات هليوكوبتر مقاتلة ، وصواريخ أرض ــ جو ، وصواريخ جو ــ جو ، وقنابل عنقدية من المحرمة دوليا ، ومحركات للطائرات والدبابات وغير ذلك من وسائل الدمار ٠

وذكرت الصحيفة كذلك أن هناك أنباء حقيقية عن إرسال

١٣ طائرة مقاتلة من طراز بى ٥ من مصانع (فورت روف) فى كاليفورنيا إلى إيران •

وقد جاء فى تقرير إيرانى أن هناك تعاونا بين إسرائيل والحكومة الأمريكية فى مجال تجارة السلاح ، لأن أمريكا لا تريد أن تنهزم إيران فى حربها مع العراق •

وأوردت الوثيقة صراحة أن إسرائيل ترى أن من مصلحتها استمرار الحرب بين العراق وإيران ، لأن ذلك يبعد فرصة انضمام الإيرانيين والعراقيين إلى الفلسطينيين أو السوريين ضد إسرائيل •

وذكرت الوثيقة كذلك أن توريد السلاح لإيران يخلق عملا لكثير من العمال ، الذين ستشملهم البطالة لو لم يعملوا فى المصانع الإسرائيلية التى تنتج هذه الأسلحة •

وقبل ذلك نشرت صحف القاهرة الصادرة فى ٢٢/٣/١٩٨٦ أن القوات العراقية استولت فى جبهة القتال الشمالية على أسلحة إسرائيلية وأسلحة مصدرة لإيران من ليبيا ، وطبيعى أن ليبيا لا تصنع الأسلحة ، بل هى وسيط بين دول الغرب وإيران •

ولا شك أن العراق يشترى كذلك أسلحة من الغرب بطريق مباشر أو غير مباشر •

من يضع هذه الحقيقة فى أذن الامام الخمينى ؟ وفى عقله وقلبه ليستجيب لدعوة إيقاف الحرب تلك الدعوة التى عرضها المخلصون عدة مرات ولا يستجاب لها ؟

إن الدم العراقى والدم الإيرانى ، وإن المـــال الإيرانى والمـــال العراقى والعربى أمانة يجب على الزعماء أن يحافظوا عليها ، والصراع الذى يتسبب عنه إزهاق روح واحدة وإنفاق الأمـــوال بدون جـــدوى سيسأل صاحبه عنه ، وسيحاسب عليـــه .

إنها الروح الصليبية تختفى خلف هذه الحرب ، وتجد فيها فرصة لإضعاف الجبهة الإسلامية من جانب ، وفرصة التجارة الرابحة فى السلاح من جانب آخر ، ولعله آن الآوان أن نعرف هـــذه الحيلة الصليبية الخطيرة التى تمكّنت من الصليبيين ، وجعلتْهم يعملون بكل الحماس للقضاء على العدو الأكبر للصليب وهم المسلمون .

إيران وأطماع السوفييت :

وهناك جانب صليبى آخر يرتبط بإيران ، فإن تخطيط الاتحاد السوفيتى لضم البلاد المجاورة له ، تخطيط طويل المـــدى ، وقد عمل الاتحاد السوفيتى طيلة عدة سنوات

ليهيىء لغزو أفغانستان ، فجعل الاقتصاد الأفغانى معتمدا اعتمادا كبيرا على الاتحاد السوفيتى ، وذلك عن طريق المساعدات الاقتصادية والمشروعات الإنشائية المشتركة التى استلزمت عددا كبيرا من الخبراء الروس ثم عن طريق المواصلات المختلفة التى تربط أفغانستان بالاتحاد السوفيتى ، وكذلك عن طريق تبادل الوفود والزيارات التى ضمت من رئيس الوزراء إلى تلاميذ المدارس والعمال ، ثم عن طريق تدريب المدنيين والعسكريين الأفغان على تشغيل الأجهزة الجديدة .

وكل هذا هيأ للزحف الروسى على أفغانستان ، ومن أجل هذا يرى الباحث أن إضعاف إيران بالحرب الدائرة بينها وبين العراق ، سيجعل إيران لقمة سائغة عندما يجيء عليها الدول لا قدر الله .

والناظر إلى خريطة الزحف الروسى خلال القرون الماضية يحس بالرعب لنشاط هذا الزحف الذى يتطلع إلى الدول الإسلامية التى تقف مجاورة لهذا الوحش الذى لا يشبع .

١٨ ـ الحركة الصليبيـة

خلف الحروب المدمرة فى لبنان

كلمة حق نشرتها صحيفة الأهرام عن الحرب الدائرة فى لبنـان والتى طال الزمن عليها فى هـذا القطر الصغير الذى كان عامرا بالحرية والجمال والترف ، والذى كان ملجأ المجهد ، وملاذ الراغب فى الراحة والبسمة بين الزهـور والأغصـان .

والكلمة تقـول :

هناك تساؤلات : ما نوع هذه الحرب ؟ وما سببها ؟ وهل هى مجرد صراع سياسى أم أنها حرب أهلية طائفية ؟

وتجىء الإجابة : « إن الحرب الدائرة فى لبنان هى « مينى » حرب عالمية ثالثة بمعنى أن معظم الدول الأساسية فى العالم لها ضلع فيها ؛ فالولايات المتحدة لها ضلع ، وروسيا لها ضلع ، وبعض الدول الثورية والاشتراكية لها ضلع ، وإسرائيل لها ضلع ، وبعض الدول العربية لها ضلع ، وكل الضالعين فى هـذه الحرب يمدون الجماعـة المتصارعة فى لبنان بالمـال والسلاح . ولو أن هذه الحرب كانت بأمـوال

لبنانية وأسلحة لبنانية لمــا أمكنها أن تستمر أكثر من أيام قليلة : أسبوع أو اسبوعين أو ثلاثة أسابيع على الأكثر •

ومرة أخرى وقع العرب فى الفخ عندما حارب بعضهم بعضا لأى سبب من الأسباب ، إنها فى الحق أسباب تافهة ، ولكن السبب الرئيسى هــو إيعاز الصليب بشكل سافر أو من وراء حجاب •

١٩ — الحركة الصليبيـــة

تجذب الصينيين فى ماليزيا وســنغافورة لتحارب بهم أهل البلاد الأصليين من المسلمين

الـــذى يدرس تاريخ الصين يدرك بوضـــوح ارتباط الصينيين بالكونفوشية أو البوذية أو اللادينية ، وعندمـــا يُذْكَر لهم أن هناك عـــددا من الملايين بالصين يعتنقـــون الإسلام ، تجىء الإجابة على الفـــور بأن هؤلاء ينتسبون إلى أسرٍ وفـــدت إلى الصين من بلاد إسلامية على مر التـــاريخ .

وإذا رجعنا إلى المصادر التاريخية الموثوق بها نجـــد أن ملك الصين التقى مع هبيرة بن المشمرج الكلابى أحـــد قادة الجيوش الإسلامية التى وصلت حدود الصين ، وبعد مناقشة طويلة اقتبسناها من الطبرى (١١٦) قرر ملك الصين أن يدفع الجزية ، وآثر ذلك على الإسلام أو السيف .

وإبان فترة الاستعمار الغربى للدول الإسلامية عمـــد

(١١٦) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٢٦٩ — ٢٧٠ .

الغرب إلى الاعتماد على قوى تساعده على تمكين الاستعمار من جانب وإلى أخـذ مكان الوسيط فى الاقتصاد بين الغرب وبين الدول الإسلامية من جانب آخر ، وكان الاعتماد فى مصر على اليونانيين الذين جلب المستعمر منهم عـددا كبيرا ، وأعطاهم نفوذا واسعا ، وملأ بهم العواصم والمدن ، أمـا فى اندونيسيا وماليزيا وسنغافورة فقد اعتمد الاستعمار على الصينيين الذين تدفقوا بأعداد هائلة على تلك البلاد ، وسرعان ما أصبح زمام الاقتصاد فى أيديهم •

وجـاء الاستقلال وبـدأ السكان الأصليون المسلمون يستعيدون مكانتهم ، ونجحت فى ذلك مصر تماما ، وكذلك نجحت إندونيسيا نجاحا كبيرا لأن تعداد الصينيين كان يكوّن بها نسبة تعتبر صغيرة بالقياس الى عدد الإندونيسيين الهائل •

أما سنغافورة فقد كانت بموقعها ومكانتها الاقتصادية تمثل قاعدة حرة واسعة الحركة والتجارة فى المنطقة ، ولهذا تدفق لها الصينيون بغزارة ، وسرعان مـا أصبحت قطرا صينيا ، وأصبح السكان الأصليون المسلمون يمثلون أقلية بها •

ووقفت ماليزيا بين بين ، فلم تنج كما نجت اندونيسيا ، ولم تغرق كما غرقت سنغافورة ، فالفرق فى التعداد بين السـكان الأصليين المسلمين وبين الوافدين الصينيين ليس

كبيرا ، وقد حاول الصينيون بعد انتخابات سنة ١٩٦٩ التى حصلوا فيها على نسبة عاليـــة من الأصـــوات أن يستبدوا بالأمر ولكن ثورة السكان الأصليين ألزمتهم أن يتقهقروا وأن يتراجعوا • (اقرأ عن ذلك الجزء الثامن مـــن موســـوعة التاريخ الإسلامى للمؤلف) •

خطورة التدخل الصليبى بماليزيا :

وانتهزت الحركة الصليبية هذا الموقف فبدأت تتدخل ، وذلك بإغراء الصينيين باعتنـــاق المسيحيـــة ، فإنهم بـــذلك يضمنون تأييد القوى المسيحية فى حركات قـــد تحدث فى المستقبل ، واستجاب الصينيـــون لهـــذا الإغراء ، وبدءوا يقبلون على المسيحية ، وعند كتابة هذه السطور فى كوالالمبور سنة ١٩٨٦ كان عدد الصينيين بماليزيا الذين اعتنقوا المسيحية يتراوح بين ٢٥ ٪ و ٣٠ ٪ من تعداد الصينيين بماليزيا •

والعجيب أن المنطق المعقول كان يقضى على الصينيين أن يعتنقوا الإســـلام إذا كانوا قد تخلصوا من الارتباط الوثيق بالكونفوشية أو اللادينية ، ولو أنهم دخلوا الإسلام لتعمق ارتباطهم بماليزيـــا ، ولأحسّ الســـكان الأصليون بأن الصينيين يريدون أن يذوبوا فى المجتمع المـــاليزى ، ولكنهم انجذبوا بالحركـــة الصليبية ، واتخذوا المسيحيـــة

وسيلة ليقووا بها لعلها تنصرهم عندما يحتاجون للمساعدة ، فالمسيحية عندهم وسيلة لا عقيدة ، والحركة الصليبية التى جذبتهم للمسيحية تقنع بهذا الاتجاه من الصينيين ، فليست الحركة الصليبية شديدة الحرص على المسيحية بقدر حرصها على الانتصار على المسلمين ، بدليل أنها لا توجه أى جهد لخدمة المسيحية فى أوربا ، وتكتفى من الشباب الأوربى بالانتساب الشكلى للمسيحية ، دون أن تربطهم بطقوسها أو نظمها .

انها مشكلة ينبغى أن تواجه بحزم ، وألا نفرح بانتصار سنة ١٩٦٩ فالمهزوم كثيرا ما يحاول أن يثأر لنفسه بوسيلة أو بأخرى إذا فرح المنتصر بالنصر ولم يتخذ الوسائل للحرص عليه .

الهجرة من مكان إلى مكان :

وهذه القضية تقودنا للحديث عن قضية الهجرة بوجه عام ، والدارس لهذا الكون ، ولتاريخ البشرية فيه ، يجد الهجرة نظاما طبيعيا ، ولم تقف الهجرة عند الإنسان ، بل إن الأسماك تعرف الهجرة ، وتسبح إناثها مسافات طويلة لتضع البيض فى جو مناسب ، والطيور فى فصل الشتاء القارس تطير آلاف الأميال من الشمال إلى مصر لتحتمى

بجوها . أما الإنسان فقد عرف الهجرات من مطلع البشرية بحثا عن الماء والمراعى ، أو عن الأرض للزراعة ، أو عن الحياة السخية فرارا من حياة التقشف ، وفى التاريخ الإسلامى نقف أمام هجرة الرسول والمسلمين موقف إعجاب ، فقد هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة سراً غالبا ، وتركوا بمكة كل أموالهم وديارهم ، وفتح أهلُ المدينة لهم قلوبهم وبيوتهم، ولكن سرعان ما قام المهاجرون يعملون فى التجارات والحرف التى يعرفونها ، ويروى أن عبد الرحمن بن عوف نزل على سعد بن الربيع ، وأكرمه سعد كل الإكرام واتجه المضيف ليمد ضيفه بكل ما يحتاجه ، ولكن عبد الرحمن سرعان ما صاح بمضيفه قائلا : جزاك الله خيرا من مضيف سمح ، ولكنى أرجو أن تدلنى على السوق ، واندفع عبد الرحمن إلى السوق بخبرة أهل مكة وحماستهم حتى أصبح من كبار التجار ، وكذلك فعلَ المهاجرون الآخرون .

وأشهر الهجرات التى عرفها العصر الحديث هى تلك الهجرات العالمية إلى الولايات المتحدة وكندا وإلى استراليا ونيوزيلانده ، وفى هذه البلاد تكونت جنسية جديدة من الجنسيات المختلفة ، وأصبح الأمريكى يحرص على أمريكيته مهما كانت جذوره ، ويدافع عن أمريكا بكل الحماس .

وإذا عدنا إلى الإسلام نجد ارتباط المهاجرين بوطنهم الجديد وذوبانهم فيه ، فيروى أنه بعد أن فتح المسلمون مكة ، قام رسول الله على جبل الصفا يدعو الله ويشكره ، وكان أهل المدينة يحيطون به ، فقال بعضهم لبعض : أترون رسول الله وقد فتح الله عليه أرضه ودياره يقيم بها ؟

فلما فرغ الرسول من دعائه اتجه لهم وقال : لا ، أنا عائد معكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم (١١٧) .

وفى هذا الموطن الجديد عاش الرسول بقية عمره .

وعرفت مصر هجرات كثيرة باعتبارها فى ملتقى افريقية وأوربا وآسيا ، فقد وفد لها أناس من الشام والحجاز ونجد وحلب وجبرت بافريقية واليمن ومن جاوه (وكانت كلمة جاوة تعنى جنوب شرقى آسيا) ومن طرابلس والصين وتونس والمغرب ، ولكن هؤلاء انماعوا تماما فى الشعب المصرى ، لغة ودينا وتقاليد وعادات ، ولم يبق من ماضيهم إلا لقب تعلق بهم أحيانا ، إذ ارتبطت أسماؤهم بكلمة : الحجازى والجاوى والحلبى والجبرتى واليمنى وهكذا .

---

(١١٧) اقرأ الجزء الأول من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف .

وكان مع نابليون قائد عظيم ، ولكن عندما عادت الحملة الفرنسية على أعقابها إلى فرنســا ، بقى هذا القائد بمصر ، وأعلن دخوله الإسلام ، واشتغل بتدريب جيش محمد على باشا وأصبح اسمه « سليمان الفرنساوى » ولــه تمثال ضخم فى قلب القاهرة •

وإذا ربطنا دراساتنا عن الهجرات بكلمة قصيرة عن الصينيين بماليزيا ، فإننا نتمنى لو فكر هؤلاء فى الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا ، ذلك الدين الذى جذب ويجــذب صفوة من علماء ومفكرى انجلترا وفرنســا وأمريكا فى العهد الحاضر ، ألا يستحق هذا الدين من الصينيين أو من بعضهم أن يفكروا فيه ؟ إنهم بلا شك لو فعلوا لوجدوا فيه الجديد المفيد ، وهو وحده الذى يقضى على مشكلة تعدد الجنس فى ماليزيا •

أمــا أن يدخل الصينيون بماليزيا الديانة المسيحية ، فذلك باب جديد يزيد الموضــوع تعقيدا ويضيف المشكلة بعداً جديداً •

٢٠ ــ الحركة الصليبيــة

تزرع التحلل الأخلاقى فى البلاد الإسلامية

درس رعاة الكنيسة بعناية أحوال المسلمين ، وأدركوا أن نقل المسلم من الإسلام إلى غيره من الأديان عمل يتعذر الوصول إليه ، فالمسلم قد ينحرف ، وقد لا يقوم بالالتزامات الدينية ، ولكنه لا يتخلى عن الإسلام ، وتُبْرِز التجارب الواقعية أن الإنسان البدوى الذى لا يعرف عن الإســلام إلا القليل يثور عندما يسمع شيئا يمس ذات الله سبحانه وتعالى أو يمس صفاته ، وكذلك يثور لو رأى أو سمع هجوما على الرسول صلوات الله عليــه .

ومن أجل هذا لا يحاولُ رعاة الكنيسة نشر المسيحية بين المسلمين فهذا يكلفهم الكثير جدا بدون نتيجة .

ولكن ذلك لم يوقفهم مكتوفى الأيدى ، فراحوا يعملون الحيل لنشر التحلل الأخلاقى بين المسلمين ، وقــد استلزم ذلك أن يصلوا إلى نفوس بعض المسلمين ، وأن يغرسوا فيها صور التحلل ، وللأسف كانت المرأة والمــالُ أهم وسيلتين لهــذا الطريق ، فالصلات الجنسية حاسمة عند المسلمين ، وليست أمورها ميسرة كما هو الحالُ فى الغرب المسيحى ،

والمـــال له بريق وإغراء ، وبخاصة فى بلاد الشرق ، حيث نشر الاستعمار الفقر والرغبة فى الحصول على المـــال •

وَطَرقَتْ الحركة الصليبية هذين الطريقين ، وللأسف الشديد يوجد فراغ ثقافى فى كثير من المناطق الإسلامية ، مما يتيح الفرصـــة لبريق التحلل الأخلاقى ، فدفعت الحركة الصليبية مئات أو آلافا من الأفلام الجنسية للعالم الإسلامى، وعندما تمتنع دور السينما عن عرض هـــذه الأفلام يرحب الفيديو فى التجمعات الخاصـــة بها ويعرضها ، وبهذا أشاعت الحركة الصليبية تلك المناظر الخليعة أو الساقطة بين الشباب الإسلامى •

واتجهت الحركة الصليبية إلى المـــال تفسد به الذمم ، وقد أثبت التاريخ كثيرا من الحالات فى البلاد الإســـلامية حيث تمت خيانات وطنية بسبب المـــال ، كأولئك الذين خانوا السلطان « الغورى » فى معاركه ضـــد الزحف العثمانى أو الذين خانوا أحمد عرابى باشا وهـــو يصارع الانجليز ، وكانت الرشاوى السخية هى الدافع لتلك الخيانات •

وتتجـــدد الرشـــاوى من حين إلى حين ، فقد أثبتت التحقيقات الحديثة أن موظفا ألمـــانيا كبيرا ضُبِط وهو يغرى

برشوة كبيرة بعض كبار الموظفين فى وزارة الصناعة ليرسو على شركته الاعطاء فى مشروع كبير ٠

قد لا تكون الرشاوى شديدة الانتشار فى ألمانيا ، ولكن الحركة الصليبية تتنازل عن القيم الطيبة وتنحدر للهاوية فى الأرض الإسلامية لعلها تصل إلى مآربها ٠

والحركة الصليبية تأخذ دورا كبيرا فى نشر ما حرم الله من خمور معتقة ، وتعمل مصانعها بجد لإنتاج الدخان ، وهم يعرفون أضراره ويحاربونه فى بلادهم ، ولكنهم ينشرونه بحماسة فى البلاد التى يسمونها العالم الثالث ، كأنهم لا يقنعون بما خلقوه من فقر فى هذه البلاد فاتجهوا اسلب ما تبقى لدى المسلمين من مال أو صحة ، وشرب الدخان خطوة تقود إلى الحشيش والأفيون والسموم البيضاء ٠

ويح الحركة الصليبية التى لا ترعى للإنسانية حرمة ، ولا للقيم والآداب مكانا ٠

٢١ — الحركة الصليبية

تَمُدّ أخطارها إلى جيل المستقبل

تعمل الحركة الصليبية فى ميادين متعددة لمناهضة الإسلام ، فهو الدين الوحيد الذى تخشاه ، لقد أفزعها عندما ظهر وانتشر ، وعندما رحبت به مناطق كثيرة كانت تعيش تحت نير الصليب كسوريا ومصر والشمال الافريقى وغيرها • ولما أفاقت من هول الانتصارات التى حققها الزحف الإسلامى ، بدأت تعد العدة لضرب المسلمين ومواجهة الإسلام ، وقد رأينا فيما سبق صورا من هذه المواجهة ، ولكن أمامنا صورة خطيرة ، أشبه بالعسل الذى يحمل السم بين مذاقه ، إنها تلك الدعوات التى تُوَجَّه للدول الإسلامية لتختار مجموعة من الصبيان فى أعمار الزهور (حوالى سن الثانية عشرة) لتستضيفهم الدول الصليبية بضعة شهور •

وكثير من الآباء والصبيان يرحبون بالفكرة ويرونها فرصة للأولاد ليتعرفوا على معالم أوربا ، وربما لينالوا فترة تمرين وتدريب على الحديث باللغات الأجنبية ، ولم يدر هؤلاء الآباء أو أولئك الصبيان أن فخاً خطيرا قد نصب للبراعم البريئة ، فهناك تعد لهؤلاء الأولاد حفلات

ورحلات ولقاءات يفقد فيهـا الصبيان أنفسهم ، ويكفرون بأوطانهم التى لا تهيىء لهم مثل ما عرفوه وما عاشـوه فى فترة الضيافة ، ولم يدرك هؤلاء أن هـذه المظاهر صناعية وأنها ليست طبيعية ، وأن الشـباب الأوربى يكـدح أكثر جـداً مما يلعب ، وأن الإباحية التى رأوها لا تناسب الشرق وقيمه وآدابه ، وأنها سراب يخـدع ولكنه يضلل ، وأن الأوربيين أنفسهم ضاقوا بهذه الأوحال التى تغمر بلادهم باسم المدنيـة ، وضـاقوا بإغفال الأسرة وضياع العلاقات العائلية .

ويعود هؤلاء الصبيان من هذه الرحلة المشئومة وهم فى اضطراب بين حرية الحياة فى أوربا وبين التزامات الحيـاة عنـد المسلمين ، ويصبح الأولاد غرباء فى بيوتهم الحقيقية إلا من عصم الله .

إنها نصيحة من مُجَرِّب ، أنْ تَرْفُضَ الأسرُ هذه المنح المشبوهـة التى لا ترمى إلا إلى السيطرة على جيل المستقبل عن طريق وضع السم الزعاف فى أطباق العسل .

٢٢ — حركة صليبية حبشية

ضد زيلع وأريتريا والقرن الافريقى امتدت عدة قرون

تحدثنا فيما سبق عن الحركات الصليبية ضد المسلمين فى أزمنة مختلفة ، بدأت من مطلع الإســـلام فى غزوة مؤتة ، وأمتدت عبر أربعـــةَ عَشَرْ قرنا حتى الآن ، وفى أمكنـــةٍ مختلفـــة من شمـــال الجزيرة العربيـــة إلى فلسطين ومصر وماليزيا ٠٠٠٠

ولكنا الآن نقـــدّم حركةً صليبية خطيرة امتدت عبرَ كل هذه القرون ، وظهرت قاسيةً من مطلع الإســـلامِ ولاتزالُ نفسُها فى حدّتها وقســـوتها ، تلك هى حركةُ الحبشـــة ضـــد جيرانها فى قلب إفريقية وشرقيّها ٠

وقد كانت أسرة هيلاسلاسى مسيحيةً اســـماً (١١٨) **، وكانت باسم المسيحية تعتدى على المسلمين ، وتنال عَوْنَ**

---

(١١٨) نقصد بقولنا « اسما » أنها لم تعرف روح المسيحية ، فقـــد كان هيلاسلاسى وأمراؤه وقسيسه يمتلكون كل الأرض ، ولا يتركون للشعب شيئا وكان الامبراطور يقيم حفلات أعيـــاد لكلابه وشعبه يتضور جوعا .

أوربا الصليبية ، ثم ألْغِيَتْ هذه الأسرة ، وألْغِيَ التمسكُ بالدين ، وحلَّت العلمانية محل ذلك ، ولكن العدوان لايزال كما كان ، وعون أوربا لمواصلته لا يزال واسعا ، وذلك مثال آخر كالاتحاد السوفيتي ، فمع إلغاء الأديان في الاتحاد السوفيتي ، ومع العداء الواضح للغرب الرأسمالي ، فإن التعاون بين الاتحاد السوفيتي والغرب ضد المسلمين مستمرٌ في حركته وتطوره .

ولنعد للحبشة أو ما يسمى الآن « أثيوبيا » لنصور هذا العداء ، ونتعرف على أسبابه ومظاهره .

ونبدأ بأن نذكر أن الحبشة — كالأحابيش — معناها التجمُّعاتُ التى لا تربطها قومية أو وطن ، والكلمة مأخوذة من تحبَّشوا أى تجمَّعوا ، ومن أجل هذا لا يميل قادة هذه البلاد إلى استعمال هذه الكلمة اسما لبلادهم لأنها توحى بالتفكك ، ويفضِّلون أنْ تسمى بلادُهم « أثيوبيا » ومعناها « الوجه المحروق » وقد دخلت المسيحية الحبشةَ فى القرن الرابع الميلادى ، عن طريق مصر .

أما المناطق الإسلامية حول الحبشة ، وبخاصة من جهة الشرق والجنوب فأهمها زيلع وهرر أو مملكة عَدَل ، ويذكر ابن حوقل أن زيلع فُرْضَة للعبور إلى الحجاز

واليمن [١١٩] ، ويسميها الإدريسى [١٢٠] « زالع » وقد انتشر فيها الإسلام منذ عهد مبكر ، ربما يرجع إلى عهد الرســول عليه الســلام ، فقد كانت هجرات المسلمين إلى الحبشــة تتصل بها ، ومن أشهر الذين هاجروا اليها ونشروا الإســلام بها بنو عقيل •

ومن تتبع المراجع العربية تتضح لنــا خطوات تكاثر المسلمين فى هذه المنطقة حتى أصبحوا الغالبية العظمى بها ، فالمسعودى [١٢١] يتحدث عن زيلع والدهلك وناصع ، ذاكراً أنها مدن" فيها خلق" كثير من المسلمين • ويقول أبو الفدا[١٢٢]: ويجاور الحبشــة من الجنوب « الزيلع » والغالب على سكانها دين الإســلام ، أما عرب فقيه فيذكر عن زيلع أنها أصبحت عاصمة السلاطين المسلمين [١٢٣] •

ويذكر المقريزى أن الأحباش يعادون من خالفهم من سائر الملل أشــد عداوة [١٢٤] ولعل ذلك راجــع إلى أنهم

---

(١١٩) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ص ٦١
(١٢٠) صفة الغرب وأرض السودان ص ٣٥
(١٢١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٢ ص ١٨ — ١٩
(١٢٢) المختصر فى اخبار البشر ج ١ ص ٦٩
(١٢٣) فتوح الحبشــة ص ٥
(١٢٤) الالمــام باخبــار من بارض الحبشــة من ملوك الاســلام ص ٣

تجمعات كما قلنا لا يربط بينها إلا العمل في التجارة ، ولكنهم رأوا المسلمين يحيطون بهم ويكسبون هذا المجال منهم ، ويقفون حاجزاً بينهم وبين البحر الأحمر ، ثم هم يسيطرون على الجزيرة العربية ، ومن جهة الشمال ينتشر الإسلام فى السودان ومصر ، وكل هذا دفعهم للعداء واستجداء العون من الصليبيين . وتغلغلت عندهم روح التعصب الدينى ، هذه الروح التى دفعتهم إلى الصدام مع الإسلام والمسلمين ، بعد الفترة الأولى التى أكرم فيها « النجاشى » وفادة المسلمين المهاجرين اليه .

وقد بلغت روح التعصب قمتها فى عهد الأسرة السليمانية (١٢٧٠ — ١٥٥٩) ، وظهرت بشكل عملى فى تلك الحروب المتصلة التى قامت بين الأحباش وبين السلطنات الإسلامية التى قامت على حدود بلادهم فى منطقة القرن الافريقى وفى بلاد الزيلع على وجه الخصوص ، ولم يخل عهد أى حاكم حبشى منذ ذلك التاريخ وحتى بداية العصر الحديث من معارك دموية خاضها مع مسلمى القرن ، وتبادل فيها الفريقان النصر والهزيمة ، وحدث فيها أو نتج عنها من مظاهر التخريب والتدمير والقتل وسفك الدماء الشىء الكثير (١٢٥) .

---

(١٢٥) دكتور رجب عبد الحليم : العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة ص ٣٨

وانتهزت أوربا الصليبية هذه الفرصـــة فزادت النار اشتعالا ، وقدمت أوربا للأحباش صوراً من العون والتأييد فى هـــذا المجال ، وشمل العون أنواعا من الأسلحة والخبراء والأموال ، كما شمل التأييد الأدبى المتصل .

ورد الأحباش الجميل للأوربيين ، فاشتركوا معهم فى الحروب الصليبيـــة ، ولكن صراع الأحباش ضـــد المسلمين بالحبشة وما حولها قلل دور الأحباش فى الحروب الصليبية ، وعندما خرَّ آخرُ مَعْقِلٍ صليبى فى الشـــام سنة ١٢٩٢ م اشتركت الحبشةُ مع أوربا فى محاولةِ فرضِ حصارٍ بحرىٍّ ضدَّ مصر لإضعاف اقتصادها بحرمانها من النشاط التجارى عَبْرَ أراضيها .

وارتبطت مصر خلالَ عهد الخديوى إسماعيل بهذه المناطق الإسلامية حول الحبشة ، فالتاريخ يذكر أنه فى الوقت الذى كانت حملاتُ إسماعيلَ تتوالى الكشف والارتياد بأقليم البحيرات كانت عَيْنُــه لا تغفل عن التخوم الشرقية بين مجرى النيل والبحر الأحمر ، فاستأجر ســـواكن ومصـــوع (عاصمة أرتيريا) وزيلع وبربرة من الدولة العثمانية التى كانت قد آلت لها السيطرة عليها ثم تملك هذه البقاع نهائيا ،

وأرسل إلى هرر سنة ١٨٧٥ حملة بقيادة محمد رءوف باشا تمكنت من فتحها بغير كبير عناء (١٢٦) .

وسيَّر فى تلك السنة حملة بحرية قوية لإتمام فتح الصومال فتقدمت فيه تقدما سريعا ، ثم عاقها عن المضى فى فتحه إلى النهاية قيام مشكلة سياسية بين الخديوى وبريطانيا حول مناطق النفوذ فى المحيط الهندى ، فاكتفى بما وصل إليه ، وتفاهم الفريقان على الاعتراف بنفوذ مصر فى شمالى الصومال .

وقد أدخلت مصرُ فى هذه البقاع ألواناً من العمران والمدنية ، حتى كان الزحف المصرى يوصف بأنه زحفُ النور والحضارة على تلك البقاع ، فقد فَتَحَتْ مصرُ المدارسَ والمستشفيات ، ومهَّدت الطرق ، ونظَّمت التجارة ، ونشرت الأمنَ والقوانين ، وقَضَتْ على تجارة الرقيق ، وانطلق علماء الأزهر الذين كانوا يرافقون الحملات يدعون للإسلام ويَنْشُرُون مبادئه وأخلاقه ، حتى كان إقبال الناس على التبعية لمصر شرفاً وكَسْراً لحائط الجمود بين المدنية والتخلف .

---

(١٢٦) انظر الجزء الخامس من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف (التوسع والامتداد فى عهد اسماعيل) .

خيانة امريكية :

وقد نزلت بمصر هزيمة وحيدة فى افريقية ، ولم تكن هذه الهزيمة بسبب ضعف وانما كانت بسبب خيانة ، ففى أثناء الحرب بين الأحباش ومصر سنة ١٨٧٥ — ١٨٧٦ ارتكب أركان الحرب الأمريكيون الذين كانــوا موظفين فى الجيش المصرى خيانة عظمى وبخاصة الجنرال (لورنج) ، الذى كان إسماعيل قد وضع ثقته فيه ، ولكنه كان ينقــل أسرار الجيش المصرى إلى الأحباش بواسطة أحــد المبشرين الفرنسيين ، وعندما بدأت المعركة ، أعلن خيانته هــو ومن معه من الضباط الأجانب ، فأخلوا الطريق للعــدو ، ومنعوا الجنود المصريين من أداء واجبهم ، وتقهقر هؤلاء والمعركة تدور ، وكان الخونة يلبسون شارة اتفق عليها حتى لا يمسهم الأحباش بســوء ، وقد ذكر الزعيم أحمد عرابى ألواناً من المخازى والخيانات عن هذا الموضوع بكثير من التفصيل (١٢٧) .

مصر وأرتيريا سنة ١٨٦٥ :

قلنا من قبل إن إسماعيل تملك سواكن ومصوع عاصمة أرتيريا وتملك زيلع وبربرة من البــاب العــالى ، ثم توالى

---

(١٢٧) مذكرات عرابى ص ٣٥ — ٣٨

التوسع المصرى ، وجذبت أرتيريا اليها عناصر عربية كثيرة ، ووجَّهت مصرُ لها عناية خاصـة ، ولذلك سرعان ما انتشر بها الإســلام واللغة العربية ، وأصبحت جزءاً مهما مـن الوطن العربى الإسلامى .

الاستعمار يصارع الامتداد المصرى بافريقية :

اتجه الاستعمار الأوربى بضراوته نحو إفريقية ، عقب انتصار المسيحيين على المسلمين فى أسبانيا فى نهاية القرن الخامس عشر ، ولكن أمريكا ظهرتْ آنذاك فَجَذَبَتْ أنظارَ القوى الأوربيــة ، وفى أواخر القرن الثامن عشر استقلَّت أمريكا ، وطردت الغزاة الأوربيين ، فاتجه هؤلاء من جــديد إلى إفريقية ، ولكنهم وجدوا النفــوذ المصرىَّ متغلغلا ، والامبراطورية المصرية ممتدةً هنا وهناك ، كما وجــدوا الإسلام قوةً تعارضهم ، فاتَّجهوا لمحاربةِ مصرَ ومحاربة الإسلام ، ففيما يتعلق بمحاربة مصر اتخذوا وسيلتهم لذلك عزل الخديوى إسماعيل بدعاوى باطلة عن أسباب عزله [١٢٨]، وبإبعاد هذا الخــديوى العظيم خلا الجوُّ للاستعمار الأوربى فى إفريقية ، إذ أن الاستعمار جاء بالخديوى توفيق ، وهــو شخصيةٌ ضئيلةٌ سيطر عليهـا الاستعمارُ ، واستطاع عن

---

(١٢٨) اقرأ هذه الدعاوى الباطلة فى الجزء الخامس من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف .

طريقه أن يُجْرِى تصفية للامبراطورية المصرية ليخلو له الجو .

وفيما تعلق بالإسلام عثر الاستعمار على الحبشة المسيحية ، فنفث فيها القوة ، واستعملها وسيلةً لضرب الإسلام فى المناطق المحيطة بها ، بعد أن وعدها بنصيب من أشلاء الامبراطورية المصرية التى تقرر القضاء عليها (١٢٩) .

توزيع الغنيمة وضم هرر إلى الحبشة وأرتيريا إلى ايطاليا :

وعندما سقطت الامبراطورية المصرية استولت الحبشة على هرر واستولت ايطاليا على أرتيريا وعلى الاقليم الشرقى من الصومال ، وسمى الصومال الايطالى ، واستولت فرنسا على منطقة جيبوتى وميناء أبيوك وسميت الصومال الفرنسى ، ونالت انجلترا نصيب الأسد إذ احتلت مصر ، وباسم نفوذها فى مصر أخذت زيلع وملحقاتها ، والإقليم الشمالى من الصومال ، وسيطرت على أوغندا وعلى السودان الذى استعادته باسم مصر ثم استبدت به ، وقد تمَّ لها هذا بعد أن تركت لشركائها نصيبا من الغنيمة كما أوضحنا آنفا (١٣٠).

---

(١٢٩) انظر ص ٣٣٦ وما بعدها من الجزء الخامس المشار اليه آنفا .

(١٣٠) المرجع السابق .

واتجهت ايطاليا فى المناطق التى احتلتها وبخاصة فى أرتيريا إلى القضاء على العنصر الوطنى قضاءً تاما ، لتدفع بالإيطاليين إلى مساكن هؤلاء وأراضيهم ، وحاولت لتحقيق ذلك أن تضرب بعض القبائل بالبعض الآخر ، وأن تدفع بالسكان بعيداً عن المدن والمناطق الخصبة ، وأن تقضى على الإسلام واللغة العربية . ولكن إيطاليا فشلت فى كل ذلك ، ولم يتحقق لها أى شىء مما سعت إليه ، وخسرت إيطاليا خسارة اقتصادية فادحةً وهى تعمل لرعاية المستوطنين الجدد الذين جلبتهم إيطاليا لهذه المناطق ، فأصبح الاستعمار عبئا على الخزانة الايطالية ، وحقق الصراع الوطنى أهدافه ضد الجيش الإيطالى المحتل ، فجعله يعيش فى ذعر مستمر وقلق دائم .

ولما وقفت إيطاليا ضد الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ، وانهارت فى هذه الحرب ، اتَّجه الحلفاءُ بكل قواهم لمساعدة الحبشة التى كان موسولينى قد استولى عليها ، ولم يكتف الحلفاء بإعادة الاستقلال للحبشة ، ولكنهم منحوها ومنحوا امبراطورها هيلاسلاسى كل تأييد ومساندة ، وكان من ذلك ان اتجهوا إلى خَلْقِ مَنْفَذ له على البحر الأحمر ، فاتَّجهت الأنظار إلى أريتريا وكانت الدول الأربع الكبرى قد عقدت معاهدة سلام مع إيطاليا سنة ١٩٤٧

وبمقتضاها تنازلت إيطاليا عن مستعمراتهـا فى افريقية ، وفشلت الدول الأربع فى الوصول إلى اتفاق بشأن القضية الأريترية ، وذلك بسبب انتشار الإسلام فى اريتريا ومعارضة الدول الصليبية أن تقوم دولة إسلامية بهذا المكان ، فأحيلت القضية إلى الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٨ • وفى ديسمبر ١٩٥٠ اتَّخذت الجمعية العامـة بمساعدة الصليبيين قرار بارتباط أريتريا مع أثيوبيا فى اتحاد فيدرالى ، وأكَّدَ القرارُ على مبدأين أساسين همـا سيادةُ أريتريا ضمن نظام اتحـاد فيدرالى ، وحكم ديمقراطى لأريتريا •

ولكن سرعان ما مارست حكومة الامبراطور بواسطة جيش الاحتلالِ الاثيوبى سياسةَ الإرهاب ، وشنَّتْ حربا ضروسا على معالم الكيان الاريترى مركِّزَةً على مَحْوِ اللغـة العربية ، واعتقلت كافة العناصر القيادية الشعبية ، وناهضت الإسلام مناهضة صريحة •

وإزاءَ هذه الاعتداءات شكَّلَ الشعبُ الأريترى وفدا إلى البـلاد العربية والجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة ليشرح لها مأساة الشعب الأريترى • وترأس الوفَد ادريسُ محمد • وفى نفس الوقت بدأ النشاطُ السياسى ينتشر بين الجماهير الذى انبثق عنه جبهة تحرير أريتريا • وفى سبتمبر

١٩٦١ أعلنت الجبهة الثورة المسلحة ، وكان رد الحكومــة الأثيوبية أن أعلن الامبراطور فى يونيو ١٩٦٢ أن أريتريا جزء لا يتجزّأ من أثيوبيا وأنه لن يتخلى عنها بأى حال •

ولكنّ الثورة المسلحــة ظلت مشتعلة لتحقق الاستقلال لأريتريا•

وبدأت بذلك مشكلة أريتريا تتعقد ، وانشغلتْ الدول العربية عن أريتريا فقد كان هناك ودٌ عميق بين هيلاسلاسى وجمال عبد الناصر ، فضعفت الأصوات التى تساعد الشعب العربى الشقيق ضد هيلاسلاسى عــدّو الإسلام والعروبة والإنســانية •

وقــد سقط هيلاسلاسى وقامت ثورة علمانية بعده ، **ولكنها — كما قلنا — لا تزال شديدة التعاون مــع الغرب الصليبى ، و لايزال الغرب الصليبى يعاونها ، فليس مهماً أن تكون الحبشة مسيحيةً أو لا دينية ، وإنما المهم أن تكون عدّوةً للإسلام والمسلمين •**

وهكذا نجدنا أمام حركة صليبية حبشية امتدت أربعة عشر قرنا ضــد المسلمين بإفريقية ، ولا تزال فى عنفوانهــا حتى الآن •

كلمة من القلب للقارىء المسلم

أيها القارىء الكريم :

هذا عرض سريع للحركات الصليبية والحركات الصهيونية ضد الإسلام والمسلمين ، كان علىَّ كمؤرخ أن أوجزها لك ، وأن أجمع أحداث القرون والقارات فى هذا الكتاب الصغير ، الذى أرجو أن يقرأه الصبى والشاب والرجل والكهل ، وأن يعنى به الذكر والانثى •

وبقدر معرفة الماضى والتأثر به سيكون حاضر المسلمين ومستقبلهم •

والخير أردت للأمة الإسلامية وللإنسان المسلم ، وما توفيقى إلا بالله •

مصـــادر الكتاب

ملاحظتان :

١ — اعتمد هذا الكتاب فى كثير من أجزائه على دراسـات ميدانية كثيرة وعلى لقاءات متعددة مما يجعل هذه المعلومات تكتب لأول مرة فى كثير من الأحيان كما سيرى القارىء .

٢ — الطريقة التى اتبعت فى تنظيم هـذه القائمة بنيت على الترتيب الأبجدى لاسم المؤلف الذى اشتهر به ، مـع عدم اعتبار الملحقات (ابن — ال) .

١ — القرآن الكريم
٢ — بعض كتب التفسير
٣ — كتب الأحاديث الستة
٤ — الكتاب المقدس
٥ — قرار المؤتمر الاسلامى العالمى بشأن الروتارى والليونز
٦ — (مجلة أمريكية رسمية) --- Foreing Affairs 1985.
٧ — وثائق بريطانية رسمية
٨ — Cambridge Mid. History
٩ — دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى
١٠ — مجلة رسالة الحياة المسيحية
١١ — ابن أبى دينار : المؤنس
١٢ — ابن الأثير : الكامل فى التاريخ
١٣ — أبو شامة : الروضتين فى تاريخ الدولتين

١٤ — أبو شامة : ذيل الروضتين
١٥ — أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر
١٦ — أبو عبيد : الأمـــوال
١٧ — أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة
١٨ — Midiaeval Europe : Emerton
١٩ — The First Crusade : August Krey
٢٠ — أحمد امين : يوم الاسلام
٢١ — دكتور أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى بأجزائها المختلفة
٢٢ — دكتور أحمد شلبى : المجتمع الاسلامى
٢٣ — دكتور احمـــد شلبى : اليهـــودية (من سلسلة مقارنة الأديان)
٢٤ — دكتور احمـــد شلبى : المسيحيـــة (من سلسلة مقارنة الأديان)
٢٥ — دكتور أحمد شلبى : شهر رمضان وانتصارات المسلمين فيـــه
٢٦ — الزعيم أحمد عرابى : مذكرات عرابى
٢٧ — دكتور أحمد هيكل : موجز عن اسبانيا (مذكرات)
٢٨ — الادريسى : صفة العرب وأرض السودان
٢٩ — ألفريد مونت : الجـــار
٣٠ — Religions of the World : G. L. Berry
٣١ — The Fall of Constantnople : Bears Edwin

٣٢ — History of Syrya : Philip Hitti

٣٣ — البلاذرى : فتوح البلدان

٣٤ — الجبرتى : العجائب والآثار

٣٥ — ابن جبير : الرحلة

٣٦ — ابن جوريون : مذكرات بن جوريون

٣٧ — Legacy of Islam : Guillme

٣٨ — ابن حوقل : كتاب صورة الأرض

٣٩ — ابن خلدون : المقدمـــة

٤٠ — ابن خلدون : العبر

٤١ — Egypt in the Middle Ages : Stanley Lane-Poole

٤٢ — The Arabs in Spain : Stanley Lane-Poole

٤٣ — د . رجب عبد الحليم : العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشـــة

٤٤ — د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية

٤٥ — سعيد العريان : شمالى افريقية

٤٦ — ابن شداد : سيرة صلاح الدين

٤٧ — شكيب ارسلان : حاضر العالم الاسلامى

٤٨ — الصفـــدى : الوافى بالوفيات

٤٩ — الطبرى : تاريخ الأمم والملوك

٥٠ — د . صلاح العقاد : المغرب العربى

٥١ — عبد الفتاح عبد المقصود : صليبيون الى الأبد

٥٢ — عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية

٥٣ — ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول
٥٤ — عرب فقيه : فتوح الشـــام
٥٥ — عماد الدين الاصفهانى : تاريخ آل سلجوق
٥٦ — عماد الدين الاصفهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى
٥٧ — عمر الاسكندرى وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثمانى
٥٨ — غوستاف لوبون : حضارة العرب
٥٩ — Louis Darte : اليهــودية والجمعيات السرية (الترجمة العربية)
٦٠ — ابن قتيبة : الامامة والسياســة
٦١ — كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية
٦٢ — A Short History of the Middle East : Kirk
٦٣ — محمد حبيب أحمد : نهضة الشعوب الاسلامية
٦٤ — د . محمد عبد الرعوف : الملايو : وصف وانطباعات
٦٥ — د . محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع
٦٦ — محمد فريد : تاريخ الدولة العلية
٦٧ — محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية
٦٨ — محمود الشنيطى : قضية ليبيــا
٦٩ — المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر
٧٠ — المقريزى : السلوك
٧١ — المقريزى : الالمام باخبار من بالحبشة من ملوك الاسلام
٧٢ — نقولا زيادة : الصليبيون فى الشرق

٧٣ — النووى : تهذيب الأسماء
٧٤ — General History : Henne-Am-Rhyne
٧٥ — ابن واصل : مفرج الكروب
٧٦ — الواقدى : تاريخ الواقدى
٧٧ — الواقدى : فتوح الشــــام
٧٨ — وايزمان : مذكرات وايزمان
٧٩ — A Short History of the Middle East : Wells
٨٠ — **Bretain in India : William Hunter**
٨١ — The Art of war in the Middle Ages : Oman

رقم الايداع ٤٨٥٦ لسنة ١٩٨٦
مطابع سجل العرب



دكتور أحمد شلبى

- تلقى دراساته فى الأزهر وفى كلية دار العلوم (جامعة القاهرة) وفى جامعة لندن وجامعة كمبردج.
- زار الولايات المتحدة الامريكية كما زار اكثر دول أوربا وآسيا وافريقيا، ومثّل مصر فى عدة مؤتمرات دولية.
- درس مجموعة من اللغات الأجنبية ويجيد الانجليزية والاندونيسية.
- اشتغل بالتدريس بجامعة القاهرة حتى وصل الى درجة أستاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية، وقد حاضر - منتدبا وزائرا ومُعارا - فى جامعة الأزهر، وعين شمس، واندونيسيا، والسودان، وماليزيا، والمملكة العربية السعودية، وليبيا، وفى معهد الدراسات الاسلامية، ومعهد البحوث والدراسات العربية، ومعهد الدراسات الدبلوماسية.
- مؤلفاته تزيد عن خمسين كتابا ظهرت الطبعة الثامنة عشرة من بعضها وأهم هذه المؤلفات:

١ - موسوعة التاريخ الاسلامى فى عشرة أجزاء.
٢ - موسوعة الحضارة الاسلامية فى عشرة أجزاء.
٣ - مقارنة الأديان فى أربعة أجزاء.
٤ - كيف تكتب بحثا أو رسالة.
٥ - المكتبة الاسلامية لكل الاعمار: ١٠٠ جزء من السِّيَر والتاريخ وقصص القرآن للأولاد والشبان والسيدات والرجال.
٦ - ISLAM: BELIEF, LEGISLATION, MORALS
٧ - HISTORY OF MUSLIM EDUCATION

- كتب بعض كتبه بالانجليزية والاندونيسية، وترجمت أكثر مؤلفاته الى الأوردية، والتركية، والاندونيسية، والماليزية والفرنسية، والفارسية.

CRUSADES

STARTED FORM THE EARLY DAYS OF ISLAM AND STILL ACTIVE

By

AHMED SHALABY,

B.A. (Hon.) Cairo University,

Ph. D. Cambridge University,

Professor and Head of the Department of Islamic History and Civilization

Faculty of Dar El Ulum, Cairo University

Published by :

THE RENAISSANCE BOOKSHOP

9 Adly Street, Cairo.

هذا الكتاب قائم بذاته
وهو فى الوقت نفسه يمثِّل الأجزاء
٤٢ و ٤٣ و ٤٤
من
«المكتبة الإسلامية لكل الأعمار»